من تراثنا الإسلامي في مقارنة الأديان

مع الجاحظ

في

« الرد على النصارى »

مكتبة زهراء الشرق
١١٦ محمد فريد - القاهرة

١- رسالة الرد على النصارى

من بين رسائل الجاحظ رسالة عنوانها « الرد على النصارى » ، وقد عُرفت حتى الآن أربع نشرات على الأقل . النشرة التي طُبعت على هامش كتاب « الكامل » للمبرّد ، ونشرة المستشرق يوسف ديكل ، ونشرة الأستاذ عبد السلام هارون ! وكانت كل من هذه النشرات الثلاث تضم مع الرسالة المذكورة غيرها من رسائل الجاحظ ! ، ثم نشرة د. محمد عبد الله الشرقاوي ! وقد طُبعت الرسالة في هذه النشرة مستقلة ! وسوف يكون رجوعي في هذا البحث إلى نشرة الأستاذ هارون ، وهي في ثمان وأربعين صفحة من القطع المتوسط بملاحظات التحقيق

وقد الرسالة عبارة عن فصول منتظمة من كتاب للجاحظ في الرد على النصارى قام باختيارها ! واختيار أمثالها من كتب أخرى لأديب العربية وصاحبها العظيم ! أديب عصر مشهور اسمه عبيد الله بن حسان (١) ويذكر القاضي عبد الجبار أن للجاحظ رسالتين في الرد على النصارى - وهما « الرسالة العثمانية » و « المختار في الرد على النصارى » (٢) فهل هما كتابان مختلفان ؟ أم هل الرسالة الثانية هي مجرد مختارات من الأولى ؟ لا نستطيع أن نجيب على

ذلك ، فإن « الرسالة العسلية » مازالت مفقودة حتى الآن فيما نعرف (٣)

وفى الرسالة التى ندرسها فى هذه الصفحات يذكر الجاحظ بعضاً من شُبَه النصارى التى كتب له بها بعض العيارى على الدين ممن أرادوا منه الردّ عليها ، ثم يقفّى على ذلك بنقضها وأهم ما جاء فى هذه الشبهات أن القرآن الكريم يذكر تأليه النصارى لمريم عليها السلام مع انهم ينكرون اتخاذها إلهًا على أى نحو من الأنحاء ، وأنه قد ورد فيه ايضا أن اليهود كانوا يقولون بعزة عُزَيْر لله سبحانه وتعالى ، وهم ايضا ينفون هذا ويجحدونه ومن ذلك أن هامان قد ذُكر فى القرآن الكريم على أنه من حاشية فرعون ، مع أن المعروف أنه كان فى زمن الفرس بعد فرعون بدهر طويل كما جاء فى القرآن عن يحيى بن زكريا عليهما السلام قوله سبحانه وتعالى : « لم نجعل له من قبلُ سميًا» ، رغم أنه كان هناك قبله من اسمه يحيى . كذلك يعترض النصارى على ما ذكره القرآن الكريم من أن عيسى قد تكلم فى المهد (٤) ويبتدى، الجاحظ ، قبل الدخول إلى نقض هذه الشبهات ، بمناقشة الأسباب والظروف التى جعلت رأى عامة المسلمين فى النصارى طيبا على عكس نظرتهم لليهود والمجوس ، ثم يقفّى ببيان الغلط فى

هذا الموقف ، موضحا أن قوله تعالى : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : انا نصارى . » (٥) لا يعني النصارى بوجه عام بل فريقا منهم مخصوصا كبحيرا والرهبان الذين اتصل بهم سلمان الفارسي قبل ان ينتهي به المطاف إلى يثرب حيث التقى بالنبي عليه السلام وآمن به (٦)

وقد أبدى ابن قتيبة سخطه على صنيع الجاحظ في رسالته هذه فقال إنه قد عمل « كتابا يذكر فيه جمع النصارى على المسلمين ، فإذا صار إلى الرد عليهم تحوّر في العجة ، كأنه إنما أراد تسفيههم على ما لا يعرفون وتسكيك الصعفة من المسلمين » (٧)

ولا يقتصر رأي ابن قتيبة السلبي على هذا الكتاب وحده بل يشمل الجاحظ وأعماله كلها تقريبا ، اذ قال انه « من أكذب الامة وأوضعهم لحديث وأنصرهم لباطل » ، وانه يقصد الى الاضحاك والعبث استمالة للأحداث وسُرّاق النبيذ ، ويستهزئ بالحديث كما يأخذ عليه بالتبه الكتب في نصرة النبي ، وتنقيصه معًا ، ويرى في ذلك دليلاً على انتفاء الاحساس بالمسؤولية لديه (٨)

على أنّ ملاحظة ابن قتيبة حول ردود الجاحظ على شبهات النصارى ان صدقت على بعض هذه الردود (إذ إن بعضها مرجع بعلاً

ويفتقر إلى ما عُرِفتْ به كتابات الجاحظ من التوسّع وتقليب الأمر على وجوهه المختلفة وتشييده بالأدلة الساطعة والحجج القوية البارعة) (٩) فإنها لا تدل على ما اتهم به الكاتب السنّي بطيره المعتزلي من أن الأمر يبدو وكأنه قد أراد تنبيه النصارى على ما لا يعرفون وتشكيك الضعفة من المسلمين . كيف ذلك ولأي عشان كثير من الأعمال التي يدافع فيها عن دين الله ، ككتاب « الرد على اليهود » وكتاب « الرد على من ألحد في كتاب الله عز وجل » وكتاب « نظم القرآن » وكتاب « آي القرآن » وكتاب « دلائل النبوة » مثلا ؟

وقد ذكر المرزباني أن له كتبا كثيرة مشهورة جليلة في نصرة الدين ، وإن سارع فقال إنه « ليس في تلقيح العقول وشحذ الأذهان ومعرفة أصول الكلام وجواهره وإيصال خلاف الإسلام ومذاهب الاعتزال إلى القلب كتب تشبهها » (١٠) ثم إن في رسالة « الرد على النصارى » نفسها أشياء حدّ قوية في تسخيف اعتراضات النصارى وإبراز تفاهة مزاعمهم ومن يدري ؟ فلعله لو وصلتنا « الرسالة العسلية » لوجدنا فيها حججًا أخرى وتفصيلاً أكثر في الرد على هؤلاء القوم

ومن الأشياء المهمة التي تُذكَر له ، رحمه الله ، أنه كان من

اوائل من نبهوا إلى ان القرآن حينما قال : « ولتجدنّ اقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى » لم يقصد جميع النصارى بل طائفة منهم فقط أبدت المودة تجاه الاسلام ونبيه . وسوف نناقش هذه النقطة فيما بعد ، ونبين وجه الخطورة في الظن بأن القرآن يثني على النصارى رغم تثليثهم وتأليههم لعيسى عليه السلام وقولهم بتجسد الله تعالى ونزوله إلى الأرض وصلبه وكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم للقرآن الكريم

اما دفاع الحاطة عن الشيء ، وبقيصه فهو لون من التزيف الفكري والحساسية العقلية التي تبرى الجوانب المختلفة للأمور . وطبيعة الحياة انه ما من شيء إلاّ ويمكن النظر إليه من روايا متعددة ، وقلما يوجد شيء كله خير فلا شرّ فيه ، أو كله شر فلا خير فيه والقرآن الكريم نفسه يقول عن الخمر ، التي وصفها بأنها « رجس من عمل الشيطان » (١١) ، إن فيها مع ذلك منافع للناس (١٢) وهو رغم حملته على أهل الكتاب من يهود ونصارى يعود فيستثني منهم فريقاً صالحاً ليس فيه عيوب سائر قومه . كذلك تكررت فيه الحملة على كنود الانسان وكفره وظلمه ورعونته ، ومع هذا فقد ذكر أن الله كرم الجنس البشري وفضله على كثير ممن خلقهم تفضيلا . وعلى اية

حال ، فهذه أسماء عدد من الكتب التي يمدح فيها الجاحظ الشيء ويذمه : « كتاب العثمانية » وكتاب « الرد على العثمانية » ، وكتاب « إمامة معاوية » وكتاب « إمامة بني العباس » ، ورسالته « في مدح النبيذ » ورسالته « في ذم النبيذ » ، ورسالته « في مدح الورّاق » ورسالته « في ذم الورّاق » (١٣)

إن في الجاحظ بل وفي المعتزلة جميعا جسارة عقلية ، وهذا ما لا يرتاح إليه كثيرًا ابن قتيبة السنّي المحافظ . ولا ننس أنه كان بين اهل السنة والمعتزلة خصومة فكرية ، وسياسية أيضًا .

امّا دعوى ابن قتيبة بأن الجاحظ كان يصحح الاحاديث فتبدو بعيدةً لا تُصدّق ، وكذلك القول بأنه كان يقصد الاستهزاء بالحديث النبوي الكريم ، إذ لا يفعل ذلك مسلم . إنما الأمر أن بعض العلماء قد يرون صحة حديث ما ، على حين ينفي صحته فريق آخر . وقد يخرج هؤلاء الأخيرون إلى السخرية ممن يقبلون الحديث ، بل قد يرون فيه إساءة إلى الإسلام ومناقضة لأصوله المجمع عليها . فبعض من يقبلونه بل قد يدّعون عليهم أنهم إنما يستهزئون بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم . وحاشا مسلمًا أن يجرؤ على هذا ! ثم إن الجاحظ كان بطبيعته مرحًا يحب الفكاهة والنادرة ، كما كان بارعًا في التهكم

بخصوم فكرته أيما براعة ، على عكس ابن قتيبة الوقور الذى يبدو مما قرأناه له وكأنه لم يكن يعرف الضحك .

وليس معنى ذلك أننا نريد الغض من ذلك المفكر السنّى الكبير ، فللرجل أيادٍ جليلة على الأدب العربى والفكر الإسلامى وإنما نريد أن نوضح البواعث التى حدت به ، رحمه الله ، إلى تلك الحملة الشديدة على أبى عثمان وكلاهما يعُدُّ معجبٌ لديته ، حريص على نصرته ، يقف بالمرصاد لكل من تتطاول عنقه إلى النيل منه لكن لكل منهما بعد ذلك طريقته وأسلوبه

وإذا كان ابن قتيبة قد اتّهم طريقة الجاحظ فى الرد على النصارى فإن العراقى قد اتُّهم هو أيضا بمثل ذلك ، إذ قال عن المنهج الذى اتبعه فى عرض مذهب الباطنية : « جمعتُ تلك الكلمات ورتبتها ترتيبا محكما للتحقيق واستويتُ الجواب عنها حتى أكثر بعض اهل الحق على مبالغتى فى تقرير حجتهم ، وقالوا : قد سعى لهم ، فإنهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم بمثل هذه الشبهات لولا تحقيقك لها وترتيبك إياها » (١٤)

والواقع أن هذا الاسلوب هو أسلوب المنصفين الواثقين بأنفسهم ، فهم يريدون أن يعطوا لرأى خصومهم الفرصة كاملة ليعرف الجمهور كل

شيء عنه قبل ان يقترحوا في الردّ عليه ، ثقةً منهم أنهم قادرون على تفنيده تمامًا . وهذا الإنصاف هو سنّة إسلامية ، ينبغي ألا تضيق الصدور به . وهو فوق ذلك يمكّن لصاحبه في قلوب القراء ، إذ يلمسون بأنفسهم صدقه في عرض رأي خصومه ، وهذا من شأنه أن يميل آذانهم إليه ويجعلهم يطمئنون إلى ما يقول . وفي كلام الحاحظ نفسه في الرسالة التي نحن بصددها دليل على هذا الذي نقول ، إذ جاء فيها : « قد جعلنا في جواباتهم وقدّمنا مسائلهم بما لم يكونوا ليبلغوه لأنفسهم ليكون الدليل تامًا والجواب جامعًا ، وليعلم من قرأ هذا الكتاب وتدبّر هذا الجواب أنا لم نعتم عجزهم ولم نستر عرّتهم ، وأن الإدلال بالحجة والثقة بالفلج والنّصرة هو الذي دعانا إلى أن نخبر عنهم بما ليس عندهم وألا نقول في مسألتهم بمعنى لم يسنده له منتقيه أو يُسرّ إليه مستر وألا يوردوا على ضعفائنا ومن قصُر نظره منا شيئا إلا والجواب قد سلف فيه وألبستهم قد مدلتْ به » (٩٥) .

وأخيرًا أختم هذه الكلمة بما قاله القاضي ابن أبي دؤاد في الجاحظ حين أُتي إليه به مقيدا بعد الإيقاع بعريمه ابن الزيات (الذي كان الجاحظ منحازا إليه على حين كان منقبضا عن مجالس القاضي) ، إذ قال ابن أبي دؤاد على أحد الحاضرين قائلاً له :

« انا اثق بطرفه ولا أثق بدينه » (١٦) ، كما قال للجاحظ دائه حين اخذ يدفع عن نفسه ما اتهمه به من كفران النعمة : « فتحك الله ! ما علمتُك إلا كثير تزويق الكلام ، وقد جعلت ثيابك أمام تلمك ، ثم اصطفيت فيه الكفر والنفاق » (١٧) ، إذ لعلَّ بعض الناس يسارع إلى كلام ابن أبي دؤاد متخذا منه دليلاً على فساد دين الجاحظ وصحة ما قاله فيه ابن قتيبة . والحق أن ابن أبي دؤاد إنما قال ذلك على سبيل التطرف والمداعبة . وليس أقوى برهانا على ذلك من أنه قد دعا بالحدّاد من فوره ليكسر قيود أبي عثمان ، ثم أمر غلامه أن يصير به الى الحمام ويُميط عنه الأذى وأن يعطيه تحت ثياب وعباءة وخفًّا . ثم لمّا عاد الجاحظ من الحمام اجلسه في صدر مجلسه واقبل عليه قائلاً : « هات الآن حديثك يا أبا عثمان » (١٨) . وقد كان ابن أبي دؤاد من رؤوس المعتزلة ، ولا يُعقل أن يكون رأيه سيّئا حقا في واحد من أهم أئمة الاعتزال .

وفي الصفحات التالية سوف نقوم بعرض شبهات النصارى التي اوردها الجاحظ في رسالته وساقتها تفصيلاً ، مستعرضين أحيانا بعض أصدائها عبر العصور ومتوسعين في الرد عليها وتبيين عوارها ، مع الاعتماد اولاً وقبل كل شيء على مقالات اليهود والنصارى أنفسهم

الهوامش

١- انظر « رسائل الجاحظ » / تحقيق عبد السلام هارون / ٣ / ١٣

٢- انظر القاضي عبد الجبار / تثبيت دلائل النبوة / تحقيق د. عبد الكريم عثمان / ١ / ١٩٨

٣- انظر مقدمة د. محمد عبد الله الشرقاوي لكتاب عمر بن يحيى بن سعيد « الصحة الايمانية في فصحة الملة الصرانية » ٣١

٤- انظر « رسائل الجاحظ » / ٣ / ٣٠٣ - ٣٠٨

٥- المائدة / ٨٢ - ٨٥

٦- انظر « رسائل الجاحظ » / ٣ / ٣٠٨ - ٣١١

٧- ابن قتيبة / تأويل مختلف الحديث / ٥٩

٨- السابق / ٥٩ - ٦٠

٩- كذلك لبس في الرسالة رد على الشبهة التي أثارها المشركون حول نبي الله السلام

١٠- انظر « معجم الادباء » لياقوت الحموي / ١٦ / ٧٦ ١٠٨ ١٠٧ - ١٠٨

١١- المائدة / ١٠

١٢- البقرة / ٢١٩

١٣- انظر أسماء هذه الكتب في « معجم الأدباء » / ١٦ / ١٠٩

١٤- د. عبد الحليم محمود / المنقذ من الضلال لحجة الاسلام الغزالي مع أبحاث في التصوف ودراسات عن الامام الغزالي / ١٢٨

١٥- رسائل الجاحظ / ٣ / ٣٤٩ - ٣٥٠ ومدلسٌ به تكلمت به وأذاعته

١٦- معجم الأدباء / ١٦ / ٨٠

١٧- السابق / ١٦ / ٧٩

١٨- السابق / ١٦ / ٨٠

٢- عبادة مريم

وسنأ بأول الشبهات التي ذكرها الجاحظ ، وهي قول النصارى إن الدليل على بطلان القرآن الكريم وفساد أمر المسلمين « أنا (نحن المسلمين) ندعي عليهم ما لا يعرفونه فيما بينهم ولا يعرفونه من أسلافهم ، لأنا نزعم ان الله جل وعزّ قال في كتابه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم : أأنت قلت للناس : اتخذوني وامي الهين من دون الله ؟ » (١) ، وأنهم زعموا أنهم لم يدينوا قط بأن مريم إله في سرهم ولا ادعوا ذلك قط في علانيتهم » (٢) . وهذه الشبهة مما لم أجد للجاحظ ردًّا عليها في الرسالة التي بين أيدينا ، ولا أدري لماذا

وفي « دائرة المعارف الإسلامية : Encyclopaedia of Islam » نجد كاتب مادة « مريم » يجهد نفسه في اثبات ان القرآن قد اخطأ حين جعل النصارى يتخذون مريم إلهًا ، إذ قال إن الرسول ربما تأثر في تصوره ذاك بما تُوليه الكنيسة لمريم من تبجيل او ربما كان ذلك منه استنتاجًا اساسه الخلط بين عيسى والروح القدس ، مما ترتب عليه خلوّ موضع من المواضع في الثالوث بدت له مريم جديرة بشغله (٣)

وقد كنت قرأت - قبل أذكر الآن ، لمستشرق بريطاني قسيس ذكر ما جاء في هذه الآية ، وبؤكد انه لم يحدث انّ عبد النصارى مريم في اي وقت من الاوقات . ولم يكتف بهذا بل اتهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه بانه انما كان يستقي مثل هذه المعلومات عن النصرانية من العوام والجهلة ، الذين لا يوثق بهم ولا يعول على ما يقولون

كذلك فقد كتب الانبا شنودة في اواخر عام ١٩٧٠م ، قبل ان يتولى البابوية ، مقالاً عن « القرآن والمسيحية » ذكر فيه الآية القرآنية التي نحن بصددها، وانكر بقوة ان تكون المسيحية قد قالت في يوم من الأيام بالوهية العذراء ، ثم انه انهى قائلاً انه « إذا كانت قد قامت بدعة تنادي بتاليه العذراء، فان المسيحية تحاربها بكل قوة » (٤) .

كما جاء ايضا في مادة « مريم » في « الموسوعة العربية الميسرة » انها ليست موضوع عبادة عند النصارى لأن العبادة للخالق وحده (٥) ومن الواضح ان كاتب هذه المادة قد اراد تكذيب القرآن من طرف خفي ، والا فما الذي دعاه الى هذا القول ان لم يكن النصارى قد عبدوها والهوها ؟

والواقع ان الاية القرآنية الكريمة لم تعدُ الحقيقة وان كل من

يعترض عليها او يحاول لمزها انما هو المبطل وقد ذكر ان البطريق ، وهو مؤرخ نصراني شديد التعصب ، ان من النصارى من كان يقول إن المسيح وأمه الاهان من دون الله ، وهم طائفة « البربرانية » (٦)

وفي مادة « Mary the Virgin » من « Dictionary of the Bible » (٧) (وهو معجم للكتاب المقدس شديد الصرامة اشترك في تاليفه علماء متخصصون عربيون ، وفيهم كثير من رجال الدين) نجد انه كان من النصارى طوائف تعبد مريم مع المسيح عليه السلام .

بل انه حتى في « دائرة المعارف الإسلامية » نجد كاتب مادة « مريم » ، وهو نفس المستشرق الذي خطّأ القرآن في عدد المسألة ، يعترف بانه كان هناك فعلاً من النصارى من يعبدون مريم ويتحدثون اليها جاعلين منها أقنومًا من أقانيم الثالوث (٨)

وفي مادة « Mary » في « موسوعة الدين والاخلاق : Encyclopaedia of Religion and Ethics » كلام كثير عن شعائر العبادة لمريم ، وكيف نشأت هذه العبادة ثم تطورت على مر العصور عند الكنائس النصرانية المختلفة ، وكيف تُرفع الصلوات اليها ويطلب منها ما يسعى ألا يطلب من غير الله سبحانه ، ويُخلع عليها من الصفات ما هو من حقه تعالى وحده ... إلخ (٩)

وفى « الموسوعه البريطانيه Encyclopaedia Britannica » ايضا حديث عن عبادة النصارى لمريم عليها السلام بوصفها ام الاله اذ يصلون لها ويسبحونها ويتجهون اليها بالدعاء والطلب المختلفة لتحققها لهم (١٠)

وفى « موسوعه كوليير Colliers Encyclopaedia » نقرأ النص التالى وهو عبارة عن اى تعليق : « وقد ترتب على كون مريم ام الاله انها فاقت فى النسل جميع البشر واحتلت من حيث النداسة المكانه التاليه مباشرة لابنها الاله وقد كرمتها الكنيسه وميزتها بتمجيد خاص يختلف عن ذلك الذى خلعته على القديسين الاخرين وكذلك بالعبادة . التى هى من حق الله وحده الخ » (١١)

وقد اكد ول ديورانت « ان المسيحية لم تقض على الوثنية بل تمثلتها واستغلت الطقوس اليونانية الحقيه الى طقوس القداس الحقيقية الرئيسية (و) جاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ومنها جاءت عبادة ام الطفل ومن فريجيا جاءت عبادة الام العظمى وقصارى القول ان المسيحية كانت آخر شىء عظيم ابتدعه العالم الوثنى القديم » (١٢)

ويذكر رحل دين نصرانى هو القمص زكريا ابراهيم « ان هذه

الفرقة (يقصد الفرقة التى تعبد مريم) ظهرت فى القرن الخامس الميلادى وكان اصحاب هذه البدعة من الوثنيين الذين اعتنقوا المسيحية ، وكانوا فى وثنيتهم يعبدون الزهرة ويقولون عنها « ملكة السماء » وعندما اعتنقوا المسيحية حاولوا التقريب بين ما كانوا يعبدون وبين العقيدة المسيحية ، فاعتبروا مريم ملكة السماء او الهة السماء بدلا من الزهرة ، ولذلك اطلقوا على انفسهم اسم المريميين » (١٣)

وقد ذكر هذه الفرقة ايضا مؤلف نصرانى آخر هو ركى شودة فى كتابه « تاريخ الانساط » (١٤)

وهذا الذى يقوله اهل البيت العالمون بحمايات وخفايا لم يكن يجهله علماء الإسلام منذ وقت جد مبكر . فهذا قتادة ، وهو من التابعين ، يقول : « اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا أربعة نفر ، اخرج كلّ قوم عالمهم ، فاختلفوا فى عيسى حين رُفع فقال بعضهم هو الله ، هبط إلى الارض فاحيا من احيا واماتَ من اماتَ ثم صعد إلى السماء ، وهم اليعقوبية . فقال الثلاثة : كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث : قل أنت فيه قال : هو ابن الله . وهم النسطورية . فقال الاثنان : كذبت ثم قال أحد الاثنين للآخر : قل فيه قال : هو

ثالث ثلاثة : الله اله ، وهو اله ، وأمه إله . وهم الإسرائيلية ملوك النصارى . فقال الرابع : كذبت ، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته . وهم المسلمون . فكان لكل رجل أتباع على ما قالوا ، فاقتتلوا فطهروا على المسلمين » (١٥) وقتادة يشير في كلامه هذا الى المؤتمرات العقدية التي كان يعقدها النصارى في القرون الأولى من تاريخهم والخلافات التي كانت تنشب بين بطاركتهم في هذه المؤتمرات وكيف انتهى الأمر الى تسلّط الاتجاه الوثني على عقيدة الموحدين .

وقد تحدث عن ذلك الراهب الاسباني أسلم تورميدا ، الذي ترك النصرانية ودخل في دين التوحيد وسمّى عبد الله الترجمان ، إذ يقول عن أصل ملته الأولى انهم « يؤمنون بان الله ، تعالى عن قولهم ، ثالث ثلاثة ، وان عيسى هو ولد الله ، وان له طبيعتين : ناسوتية ولاهوتية ، وهاتان الطبيعتان صارتا شيئا واحد فصار اللاهوت إنسانا مُحدثا تاما مخلوقا ، وصار الناسوت إلها تاما خالقا غير مخلوق وبعضهم يقول : الثلاثة هم الله تعالى وعيسى ومريم » (١٦) .

وقد ذكر هذه الفرقة أيضا ابنُ حزم ، وقال (مثلما قال ابن البطريق من قبل) ان اسمها « السريانية » . كما أشار الى أن النصارى يسجدون (فيما يسجدون له من تماثيل) لتمثال مريم

ويصومون له تذبيا (١٧)

كما أورد بعض علماء المسلمين ما يدعوها به النصارى فى صلواتهم مثل : « يا والدة الاله العذراء ، اسمعنى فى خلاصنا وافرحى يا والدة الإله مباركة أنت فى النساء ، ومباركة ثمرة بطنك ، لأنك ولدت لنا مخلصنا يا والدة الاله مباركة لا تغفلى عن وسيلتنا ونحن من المعاطيب فى هذه الصلاة » ، وغير ذلك (١٨)

وفى كتاب « المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله الهندى والدكتور القسيس فندر » انه كانت هناك فى القرون الأولى من تاريخ النصرانية فرقة تسمى « كولى رى ديس » تقول إن الآلهة ثلاثة : الآب والابن ومريم ، وأن هذا القول ربما كان مكتوبا فى إنجيليهم (١٩) ويبدو أنها هى الفرقة التى ذكرها محمد حميد الله كما سيرى بعد أسطر قليلة

ويقول عبد الله يوسف على العلامة الهندى وصاحب الترجمة الإنجليزية الشهيرة للقرآن الكريم إن عبادة مريم ، التى ألغاها البروتستانت ، كانت واسعة الانتشار بين النصارى الأوائل فى المشرق والمغرب (٢٠) . كذلك ذكر محمد حميد الله ، فى ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم تعليقا على آية سورة « المائدة » التى يدور الكلام

في هذه الصفحات حولها ، ان الاشارة في الآية خاصة بطائفة الـ «Collyridiens» وحدهم ممن يضعون مريم في مرتبة اعلى من مرتبة البشرية (٢١).

والخلاصة ان القرآن حينما ذكر ان هناك من يعبدون مريم انما يذكر حقيقة تاريخية لا سبيل الى الشك أو المراء فيها. أما الذين يعترضون على ذلك ويكذبونه ، بتصريح القول او اللحن فيه ، فان اعتراضهم هذا لا يعني من الحق شيئا. وسواء بعد ذلك اكان النصارى هم الذين يعبدونها ام ان فرقة ضالة لا بعد منهم ، كما يدعي البعض - هي التي كانت تقول هذا (٢٢). ذلك ان القرآن لم يتعرض لهذه النقطة الفرعية ، اذ كل ما قاله هو ان من الناس من كان يعبد عيسى ومريم إلهين من دون الله ، مكتفيا بالاشارة الى فريقة التي يرددونها دون ان يهتم بتصنيفهم.

الهوامش

١- المائدة / ١١٦

٢- رسائل الجاحظ ٣ / ٣٠٣ - ٣٠٤

3- E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam, Vol. V, p. 331.

٤- الأب شنوده / مقال « القرآن والمسحة » / مجلة « الهلال » المصرية / ديسمبر ١٩٩٧ م / ٣٦

٥- الموسوعة العربية الميسرة / ١٦٨٩

٦- انظر اين تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / ١ / ١٧١ - ١٧٢ و ٣ / ٢٢ - ود. علي عبد الرحمن وافي / كتاب المقدس في الأديان السابقة للإسلام / ١٠٧

7 - Dictionary of the Bible, ed. by William Smith, London, 1863.

8 - E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam, Vol. V, p. 311.

9 - Encyclopaedia of Religion and Ethics, ed. by James Hastings, Vol. 8, pp. 474 - 480.

10 -Encyclopaedia Britannica - Macropaedia - 15th ed., Vol. 11, pp. 560 - 562.

11- Collier's Encyclopaedia, Vol. 15, p. 470.

١٢- ول ديورانت / قصة الحضارة / ترجمة محمد بدران / ٩٩ / ٢٧٥-٢٧٦

١٣- القمص زكريا ابراهيم / الله واحد في الثالوث المقدس / ٤٩

١٤- انظر د. رءوف شلبي / يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء / ٢٩٢

١٥- « تفسير القرآن » لعبد الرزاق بن همام الصنعاني / تحقيق د. مصطفى مسلم ٢ / ٨ وتفسير ابن كثير ٢ / ١٢٣

١٦- أبو محمد عبد الله الرحمان المورفي / تحفة الأريب في الرد على أهل

الصابئة / دراسة وتحقيق وتعليق عمر وفيق الداعوق / ٩٣٩ - ١٤٩

١٧- انظر « الفصل في الملل والاهواء والنحل » / تحقيق د. محمد ابراهيم نصر ود. عبد الرحمن عميرة / ١ / ١١٠ ، و ٢ / ٢٠٥

١٨- القرافي / الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاخرة / تحقيق د. بكر زكي عوض / ٣٥٦ - ٣٥٧ وانظر ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / ٣ / ١٩٣ ، وكذلك ابن قيم الجوزيه / هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى / تعليق مصطفى ابو النصر الشلبي / ٢٦٦ - ٢٦٩

١٩- انظر « المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله الهندي والدكتور القسس هندر » / تحقيق د. محمد عبد القادر خليل / ٢٧١ - ٢٧٢

20 - Abdullah Yusuf Ali , The Holy Quran , 280 , n 829

21 - Muhammad Hamidullah , Le Saint Coran , p 161

٢٢- مثلما رأينا عند القسس وكريا إبراهيم ومن الذين ادعوا هذا أيضا إسكندر عبد المرشد الروحاني لمركز الشمسة في لبنان (انظر إبراهيم سليمان الضهار / معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التنصير / ٦٤٦ - ٦٤٢)

٣- عُزَيْر

ويزعم النصارى ان من الادلة على بطلان القرآن الكريم ادعاءه على اليهود القول بأن عُزَيْرًا ابن الله ، مع ان اليهود لو كانوا قالوا ذلك ما جحدوه من دينهم ولا أنكروا قولهم إياه (١)

والذى ورد فى القرآن عن هذا الموضوع هو قوله جل شأنه : « وقالت اليهود : عُزَيْر ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله ! أنى يُؤفكون ؟ » (٢) وسبب نزول هذه الآية فيما يختص باليهود أن بعض زعمائهم قد أتوا النبى صلى الله عليه وسلم يحاجونه ويذكرون السبب الذى يمنعهم من قبول ما يعرضه عليهم من الدخول فى الاسلام ، قائلين : « كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا ترعم ان عزيرا ابن الله ؟ » (٣)

ومن هذا يتبين أن الذين قالوا بذلك كانوا من يهود المدينة وأن القرآن قد سجّل ذلك عليهم وقد سمع اولئك اليهود بما يعاد عليهم القرآن وحرسوا ولو أنهم لم يقولوا هذا لاعترضوا على النبى عليه السلام ولتسرّعوا عليه وعلى القرآن الكريم ، إذ ان هذه فرصة ثمينة بل سيف بتار قاتل ما كانوا ليهملوه بل بالحرى كانوا يمتشقونه ليطعنوا

به الدين الحنيف طمعة نعلاء بكمل لهم الانتصار عليه فى الحرب النفسية المتاحة التى كانوا يشنونها على محمد صلى الله عليه وسلم . فالزعم ادى بأن اليهود قد انكروا ذلك هو زعم باطل ، فهم لم ينكروه ولو كانوا قد انكروه لتحدث عنه القرآن او لرويته على الأقل الأحاديث وكتب التاريخ ، كما حدث مع عدي بن حاتم ، الذي أدهشه لقول القرآن ، عقب الآية السابقة مباشرة ، عن اهل الكتاب انهم « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » ، وقال للنبى صلى الله عليه وسلم انهم لم يكونوا يعبدونهم ، فبين النبى عليه السلام انهم قد حرّموا عليهم الحلال واحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، وهذه هى عبادتهم إياهم (٤) ومعروف ان يوشع قد نسخ شريعة التوراة (٥) ، وان كتبة الاناجيل قد ادعوا أن المسيح قد حمل ما يحمله رسله على الارض محلولا فى السماء ، وما يربطونه على الأرض مربوطًا فى السماء (٦) كما ان السامريات كان يبحن لرعاياهم محكوك العفران ، والعفران هو من أخص خصائص الله سبحانه . وما زال النصارى حتى الآن يذهبون الى القساوسة ليغفروا لهم بما اختردوه من مآثم فيغفروها لهم . وما اكثر النسوة والفتيات اللاتى يقصدن القسيس فى الكنيسة على انفراد فيعطر بهن فى خلوة الصامت المظلم ويسمع منهن تفصيلات الفواحش

التي يقترفها دون حياء من الطرفين ! ودعنا مما يمكن أن يحدث في مثل هذه الظروف المثيرة المريبة كما أن النصارى يسجدون لتماثيل قديسيهم ويصومون لهم أما اليهود فقد أجمع أحبارهم مثلا على أن من يشتم الله أو الأنبياء يؤدب ، أما من يشتم الأحبار فيُقتل (٧) وفي التلمود أن خلافًا علميا وقع بين الله وأحبار اليهود حكم فيه أحد الحاخامات لصالح الأحبار ، واعترف الله بخطئه (٨) ، وأنه سبحانه يستشير الحاخامات عندما تقابله مشكلة (٩) ، وأن مخالفة الحاخامات هي بمثابة مخالفة الرب نفسه (١٠) ، علاوة على تبديل التلمود كثيرا من شرائع التوراة ... الخ .

وقد ذكر الحاخام ان فريقا من بقايا القائلين بنوة عُزَيْر لله سبحانه كانوا لا يزالون في عصره باليمن والشام وداخل بلاد الروم (١١) وقد ورد عند ابن حزم أن الذين كانوا يقولون ذلك هم طائفة الصدوقيين باليمن (١٢) وكانت بينه ، رحمه الله ، وبين مواطنه ابن الغريلة اليهودي مجادلات من هذا النوع ، فلم لمْ يكذّبه فيما قاله من أن طائفة من بني دينه تدين بنوة عزير لله ؟ وقد رأينا قبل قليل كيف أن النصارى الذين يعملون على تحطئة القرآن ، ومنهم قساوسة ومبشرون متبحرون في دينهم ، مازالوا يدّعون أنه لا يوجد

نصرانى واحد يعبد مريم ، وذلك رغم ثبوت صحة ما قاله القرآن الكريم فى هذا الصدد وقد أسلم عدد من يهود المدينة على يد النبى عليه السلام ولم يحدث أن احدًا منهم قد استعرب هذه الآية أو استوضحها النبى مجرد استيضاح

وقد جاء فى الروايات ان ابن عباس ناحث يومًا عبد الله بن سلام (وهو يهودى أسلم عقب هجرة النبى عليه السلام إلى المدينة) فى قول الله تعالى : « وقالت اليهود : عُزير ابنُ الله » وسأله لم قالوا ذلك ؟ فذكر ابن سلام ما كان من كتابة عزير التوراة لبنى إسرائيل من حفظه وقول بنى إسرائيل حينذاك : لم يستطع موسى ان يأتينا بالتوراة الا فى كتاب ، اما عزير فقد جاءنا بها من غير كتاب ، فعلمنا فيه طوائف منهم وقالوا انه ابن الله (١٣) .

وقد أقرّ القسيس الذى ناظره فخر الدين الرازى فى امر الإسلام والنصرانية بان بعض اليهود قد قال ذلك فعلاً وكل ما عقب به هو انه « لا يلزم من قول واحد فى وقتٍ ما قول الجميع فى جميع الأوقات » (١٤) وقد وضح الرازى له أن قوله تعالى : « وقالت اليهود : عزيرٌ ابن الله » لا يقتضى فعلاً أن يكون إخبارًا عن الكل ولا فى كل وقت (١٥) وقد اتفق المفسرون على ان إسناد هذا القول

اليهم يراد به بعضهم لا كلهم. وذكر رشيد رضا أن القاعدة في الأقوال والافعال المسندة في القرآن الى جملتهم رغم أنها صادرة عن بعضهم فقط هي الاشارة الى ان الامة تُعدّ متكافلة في شؤونها العامة ، وأن ما يفعله بعض الفرق والجماعات او الزعماء ، يكون له تاثير في جملتها ، وان المنكر الذي يفعله بعضهم يواخذ الجمهور به ما داموا لم ينكروا عليهم أو يحاولوا ازالته ، وذلك مثلما يصيب الوباء مجموع الناس ولا يقتصر على مرضاه الأصليين (١٦) . على انه يمكن ان تكون الالف واللام الداخلة على لفظة « اليهود » في الآية السابقة هي « ال » العهدية لا الجنسية ، ويكون اليهود قسما من ثم يهودا معينين ، وليس كل اليهود ، أو يكون الكلام على التوسع كما يحدث كثيرا في مثل هذه الحالة

وفي « تفسير عثماني » (باللغة الأوردية) للعلامة شبير احمد عثماني ان عالما هنديا اسمه الحاج أمير شاه جال لقي في فلسطين ، أثناء زيارته لها (قبل تسع عشرات من السنين) ، بعض اليهود ممن ينتمون إلى فرقة اسمها « الغزيريون » لا تزال تعتقد ان عزيرا ابن الله (١٧) وقد رايتا قبل قليل ما ذكره ابن حزم من ان الذين كانوا يقولون ذلك كانوا يعيشون في اليمن وهذا وذاك

يؤكدان ما جاء عند البحاظ من أن نقاياهم كانوا بالبس والتنام وبلاد الروم .

وقد ذكر د. عبد المنعم الحفني في « الموسوعة الشاملة للفلسفة اليهودية » جماعة اليهود الذين يزعمون أن عزيرا هو ابن الله ، وهم طائفة الصدوقيين (١٨)

ولعلّ بعض الناس يستغربون ان يكون من اليهود من ينسب لله ابنا ، اذ المشهور ان الذين يقولون بذلك إنما هم النصارى ، أما اليهودية فديانة توحيد ، ولكن الحقيقة ليست كذلك ، لانه اذا كان النصارى قد ادعوا ان المسيح ابن الله فان اليهود قد ادعوا هذه البنوة لأكثر من شخص ، وما عُزَيْر الاّ واحد من هؤلاء ، وقد ذكره القرآن بالاسم لأن بعض يهود المدينة قد عيّنوه في جدالهم مع النبي صلى الله عليه وسلم تعيينا .

ومن ذلك ما جاء في العهد القديم من « أن أبناء الله رأوا بنات الناس انهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كل ما اختاروا .. وبعد ذلك ، دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا » (١٩) ، كما نسب مؤلفو هذا الكتاب اليه سبحانه زورا قوله لبني إسرائيل : « أنتم أولاد للرب الهكم » (٢٠) ، وكذلك قوله عن

اسرائيل إنه « ابنه البكر » (٢١) . وفي سفر « أيوب » نقرأ أنه قد « جاء بنو الله ليمثلوا امام الرب » (٢٢) ، و « ترنمت كواكب الصبح معا وهتف جميع بني الله » (٢٣) . ويقول كاتب المزامير (٢ / ٧) إن الله قال لداود : « أنت ابني ، أنا اليوم ولدتك » . وتحمل الآية ٢٦ من المزمور السابع والثلاثين لله سبلاً وتتكلم الآية ٧ من المزمور التاسع والثمانين عن « أبناء الله » . وفي المزمور التاسع والثمانين يقول الله عن داود عليه السلام فيما يزعمون : « هو يدعوني أبي أنت . أنا أيضا أجعله بكرًا أعلى من ملوك الأرض » (٢٤) . وفي « إشعياء » يصعون على لسان الله الكلام التالي : « لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام » (٢٥) . ويستهل إشعياء كلامه قائلاً : « ايبس عيرتك وخروتك زفير أحشائك ومراحمك نحوى امتنعت . فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم وإن لم يدرنا إسرائيل . أنت يا رب أبونا وليّنا منذ الأبد اسمك » (٢٦) . وفي سفر « إرميا » يقول كاتبه مسندا الكلام إلى الله تعالى : « صرتُ لإسرائيل أبًا ، وأفرايم هو بكري » (٢٧) . وفي « هوشع » يوصف بنو إسرائيل بأنهم :

« اسماء الله الحسنى » (٢٨) وفى التلمود أن أرواح اليهود تتميز عن سائر أرواح البشر بأنها جزء من الله مثلما أن الابن جزء من أبيه (٢٩) وغير ذلك كثير وقد سجل القرآن زعمهم (هم والنصارى) أنهم « أبناء الله وأحباؤه » (٣٠)

ولم يكتف اليهود بأن جعلوا لله أسماء ، بل جعلوا له سمات أيضا روحة ، إذ جاء فى المزمور الخامس والأربعين حسب الترجمة التى كانت تحت يد ابن حزم ، رحمه الله ، قول صاحب المزامير يخاطب الله تعالى : « وقفت روحك عن يمينك وعقاصها من ذهب أيتها الامة اسمعى وميلى بأذنيك وانصرى وانسى عشيرتك وبيت ابيك فيهواك الملك وهو الرب والله ، فاسجدى له طوعا » (٣١) وقد غير مترجمو البروتستانت فى العصر الحديث ذلك فحذفوا كلمة « روحتك » ووضعوا مكانها لفظة « الملكة » ، كما استبدلوا بعبارة « وهو الرب والإله » قولهم « لأنه هو سيدك » (٣٢) ومع ذلك فمازلنا نقرأ فى العهد القديم مثل هذا الكلام

من ذلك ما نُسب إليه تعالى فى « أرميا » (٣ / ١ - ١٠) يخاطب الأمة اليهودية : « إذا طلق رجل امرأته فانطلقت من عنده وصارت لرجل آخر هل يرجع إليها بعد ألا تتنجس تلك الأرضُ

بحاسة . اما انت فقد زنيت باصحاب كثيرين . لكن ارجعي الي ،
يقول الرب . ألست من الان تدعينني يا ابي اليف صباي انت
وقال الرب هل رايت ما فعلت العاصية اسرائيل انطلقت الى كل
جبل عال والى كل شجرة خضراء وزنت هناك . ففعلت بعدما فعلت كل
هذه ارجعي الي فلم ترجع . فرايت انه لاجل كل الاسباب اذا زنت
العاصية اسرائيل فطلقتها واعطيتها كتاب طلاقها لم تخف الخائنة يهوذا
اختها بل مضت وزنت هي ايضا . وكان من هوان زناها انها نجست
الارض وزنت مع الحجر ومع الشجر . وفي كل هذا ايضا لم ترجع الي
اختها الخائنة يهوذا بكل قلبها بل بالكذب ، يقول الرب »

ومثله ما زعم ، في سفر « حزقيال » (١٦ ٧ - ٣٧) ،
انه تعالى قد قاله ايضا لامة اليهود : « جعلتك ربوة كمنات الحقل
فربوت وكبرت وبلغت زينة الازيان . نهد ثديك ونبت شعرك وقد كنت
عريانة وعارية . فمررت بك ورايتك وإذا زمنك زمن الحب . فبسطت
ذيلي عليك وسترت عورتك وحلفت لك ودخلت معك في عهد ، يقول
السيد الرب ، فصرت لي . فحممتك بالماء ، ومسحتك بالزيت
والبستك مطرزة ونعلتك بالتحس وأزرتك بالكتان وكسوتك برا . وحليتك
فوضعت اسورة في يديك وطوقا في عنقك . ووضعت خزامة في انفك

واقراطا في اذنيك وتاج جمال على راسك فتحليت بالذهب والفضة ولباسك الكتان والز والمطرز واكلت السميد والعسل والزيت وجملت جدا جدا فصلحت لمملكة فخرجت على جمالك وزنت على اسمك وسكنت بك على كل عابر فكل له واخذت من ثيابك وصنعت لنفسك مرتفعات موشاة (٣٣) وزينت بها امر لم يات ولا يكن واخذت امتعة زينتك من ذهبي ومن فضتي التي اعطيتك وصنعت لنفسك صور ذكور وزنت بها وفي راس كل طريق بنيت مرتفعتك وجعلت جمالك وفرجت رجليك لكل عابر واكثرت زناك وابنها الزوجة الفاسقة تاخذ احسنين مكان زوجها لكل الزواني يعطون هديه اما انت فقد اعطيت كل محبيك هداياك ووسقتهم لياتوك من كل جانب لزناك »

وفي « هوشع » (٢ ٢ - ١٦) يسند الكاتب الى الله سبحانه الكلام التالي « حاكموا امكم حاكموها لانها ليست امراتي وانا لست رجلها لكي تعزل زناها عن وجهها وفسقها من بين ثدييها لئلا اجردها عريانة واوقفها كيوم ولادتها ولا ارحم اولادها لانهم اولاد زنى لان امهم قد زنت لانها قالت اذهب وراء محبي الذين يعطون خبزي ومائي صوفي وكتاني وزيتي وشرابي فلهذا اذهب وارجع الى

وحلى الاول لانه حينئذ كان حبر (٣٤) لى سن الآن وهى لم تعرف اى اعطيتها القمح والمسطار والزيت وكثرت لها فضة وذهبا جعلوه لبعل . لذلك ارجع واخذ قمحى فى حينه ومسطارى فى وقته وانزع صوفى وكتانى اللذين لستر عورتها والآن اكشف عورتها ولا ينقذها احد من يدى . واحرّك كرمها وتينها اللذين قالت هما اجرتى التى اعطانيها محبّى واضاقها على ايام بعلها التى فيها كانت تتحر وتتزين بحواتمها وحليها وتذهب وراء محبّيها وتنسانى أنا يقول الرب . لكن هانذا اتملقها واذهب بها الى البرية والاطفها واعطيها كرومها من هناك . ويكون فى ذلك اليوم ، يقول الرب ، انك تدعينى رجلى ولا تدعينى بعد بعلى »

ان الانسان ، حينما يقرأ هذا الكلام ، لا يتمالك نفسه من الرثاء لمثل هذا الزوج الوالد المسكين الذى سرعت روحه الراسية الحنون شرفه فى الرغام ، ولكنه لا يستطيع عنها سلوا رغم كل سفاهه القبيح لها وتهديداته اياها بالهجر والفضيحة !

وقد حدد آرثر هرتزبرج (فى كتابه «Judaism») الزمان والمكان اللذين تم فيهما عقد الزواج بين الله واسرائيل حسب افتراءات اليهود فقال ان ذلك كان فى سيناء حين تجلى الله لموسى وبنى

إسرائيل واضاف أن السماوات والارض كانت شهود ذلك العقد (٣٥) ويقول ول ديورانت ان « نشيد الانشاد » المنسوب لسليمان (وهو نشيد يفوق قصائد الشعراء الداعرين في غزله واثارته للشهوات واغراقه بالفجور) هو في اعتقاد اليهود ترنيمة مُوحاة من السماء لتصور تصويرا مجازيا اقتران يهوه بإسرائيل عروسه المختارة (٣٦)

هذا عن نشوة حرير لله التي ادعاها له فريق من اليهود وحكاها عنهم القرآن الكريم . لكن من غرير هذا ؟ التابع بين المفسرين والمؤرخين المسلمين (٣٧) انه عزرا ، الذي يقول بعضهم انه كان نبيا . وبعضهم انه مجرد كاهن او كاتب واعلمهم يميلون اليه انه هو الذي اعاد كتابة التوراة بعد تلفها . وبعضهم ، كالبغوي ، يقول انه حفر عنها في سر كانت مطمورة فيه واستخرجها ونسخها من جديد مع كتب الانبياء الاخرى

ويقول سبنسورا (في كتابه « رسالة في اللاهوت والسياسة ») ان عزرا انما جمع الروايات المحفوظة من الكتب او المأثورات الشعبية المتداولة على الالسن ونسخها دون تحقيق او ترتيب ومن هنا جاءت النصوص في معظم كتب العهد القديم مشوهة ومتعارضة ، لان

مصادرها متعددة ولان الكتاب الذين كانوا يعملون فى جمعها تحت اشرافه لم يطلع اى منهم على ما كتبه الاخرون (٣٨) ويؤكد د. فواد حسنين على ان العهد القديم لم يُجمع كله على يد عزرا بدليل وجود اسفار فيه متاخرة عن زمنه كسفر دانيال (٣٩)

اما السموال بن يحيى المغربى (وهو حبر يهودى اندلسى كان يعيش فى القرن السادس الهجرى ودخل فى الاسلام) فانه يحمل على عزرا حمله شديدة ويسمى اسمه هو عزير الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم قال : « كان عزرا هذا خادما لملك الفرس حظيا لديه فتوصل الى بناء بيت المقدس وعمل لهم هذه التوراة التى بايديهم . فلما كان هارونيا كره أن يتولى عليهم فى الدولة الثانية داودى فاضاف فى التوراة فصلين طاعنين فى نسب داود - احدهما قصة بنات لوط ، والاخر قصة تامار (٤٠) ولقد بلغ ، لعمرى ، غرضه ، فان الدولة الثانية التى كانت لهم فى بيت المقدس لم يملك عليهم فيها داوديون ، بل كانت ملوكهم هارونيين . وعزرا هذا ليس هو العزير كما يظن ، لان العزير هو تعريب العازار . فاما عزرا فانه اذا عرب لم يتغير عن حاله لانه اسم خفيف الحركات والحروف ، ولان عزرا عندهم ليس بنبى ، وانما يسمونه « عزرا هوفير » ، وتفسيره : الناسخ » (٤١)

لكنى ارجح انه لو كان « العازار » هو « عزيرا » لسماه القرآن الكريم « العزير » (بالالف واللام) ، كما فعل مع « اليسع » (الذى اصله « اليشع ») وقد فعل السموال نفسه ، رحمه الله ، ذلك ، فانه لم يكتبه الا بالالف واللام . وفضلا عن ذلك ، فان جميع علماء المسلمين القدامى تقريبا قد قالوا انه عزرا ، وعندنا رواية اوردها ابن عساكر عن عبد الله بن سلام انه هو عزرا ناسخ التوراة ، على ما جاء فى « البداية والنهاية » لابن كثير كما مر بيانه . ثم ان كون عزرا ابنا او غير ذلك لا يقدح فى المساله ولا يجوز (٤٢) واخيرا فانه اذا كان عزير هو « العازار » ، فاى العازار ذلك ؟ ولماذا عاد النهود لله سبحانه ؟ ان السموال للاسف لم يجب عن هذين السؤالين المهمين برغم تبحره فى العبرية والعبرية والقرآن الكريم وكتب اليهود والنصارى . وقد رجح رءوف ابو سعده ان يكون يهود المدينة الذين قالوا عزيرا ابن الله قد حوروا نطق اسمه من « عزرا » (وهى صيغة المصدر من مادة « ع ز ر » بمعنى اسم الفاعل) الى « عزير » (بالامالة ، وهى صيغة اسم الفاعل من تلك المادة) ثم جاء القرآن وعربها بصيغة التصغير العربية ، التى هى اقرب شئ الى صيغة اسم الفاعل العبرية (٤٣) .

اما الدكتور أحمد شلبى فانه لا يقطع بأن عزرا هذا هو عزير الوارد فى القرآن ، وانما يكتفى بأن يقول : « يُنسب سفر عزرا الى عزرا الكاهن ، ويبدو انه عزير الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم » (٤٤) .

وفى ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم يقول د. صلاح الدين كشريد عن عزيّر هذا انه هو عَزَيا - احد الانبياء العبرانيين الصغار الاثنى عشر (فى القرن الثامن قبل الميلاد) (٤٥) . بيد ان فى الصعب جدا الاقتناع بأن « عزير » هو تعريب « عَزيا » .

فاماما إذن فى عزرا ثلاثة آراء على الاقل : انه هو عزير ، وانه ليس إياه ، وانه يبدو انه هو

الهوامش

١- رسائل الجاحظ / ٣ ٣ - ٣٠٤

٢- المرجع ٣٠

٣- على سبيل المثال: طبقات ابن سعد في سبب نزول سورة [illegible]

٤- وهي كتاب لمرعشلي وابن الجزري وابن عطية والسيوطي وصبحي [illegible] مذكورا في كثير من كتب التفسير وكتب أسباب النزول عند تناول هذه الآية

٥- يدلل على ذلك « رسائل مولس » (في العهد الجديد) في مواضع متعددة منها

٦- انظر مثلا ١٦ / ١٩ - ٢ و ١٨ ١٨ ويوحنا / ٢٠ ٢٣

٧- ابن حزم المحلى في الملل والاهواء والنحل ١ / ٢٢٥

٨- ابو محمد خليل حمدي اسرائيل والطهود / ٦٥

٩- يشير د. صبحي طعيمة الاسفار المقدسة قبل الاسلام / ٩٦٤

١٠- المرجع ٤٩

١١- نقد مسائل الجاحظ ، ٣ / ٣٤٦

١٢- ابن حزم / المحلى في الملل والاهواء والنحل ١ ١٧٨ ، يدلل كذلك ، رشيد على ابن العريفة « في » رسائل ابن حزم الاندلسي ، تحقيق د احسان عباس ٣ ٦٧

١٣- ابن كثير / البداية والنهاية ٢ / ٤٦

١٤- فخر الدين الرازي / مناظراته في الرد على النصارى تحقيق د عبد المحسن الحسن / ٣٩ - ٤

١٥- السابق ٤٧

١٩- انظر محمد رشيد رضا / تفسير المنار / ١٠ / ٣٨٣

٢٠- العلامة شبير احمد عثماني / تفسير عثماني (بالأوردية) / ٢٥٣ - ٢٥٤ وقد ترجم الى النص من الأوردية إلى الإنجليزية مشكورا صديقي د. عادل عثماني رئيس تحرير مجلة «Pakistan Library Bulletin» . والذي يعمل منذ سنوات مديرا لمكتبة كلية التربية (فرع جامعة ام القرى) بالطائف

١٨- الموسوعة المذكورة / مادة « الصدوقية »

١٩- تكوين / ٦ ٢ ويذكر سفر « التثنية » (٣٢ / ٩٩) لله سر وسائد اعدا :

٢٠- تثنية / ١٤ ١

٢١- خروج / ٤ ٢٢ - ٢٣ ،في سفر « التثنية » (٣٢ ٧ مرتين ، اشارة الى عدد السنوة

٢٢- ايوب / ٩ ٦

٢٣- يوب ٣٨ ٧

٢٤- مزامير ٨٩ ٢٦ - ٢٧ وقد رأينا فعلا ان اسم الكبر تعالى الله عن دلك هو اسرائيل وسنرى بعد قليل أنه افرايم وهذه تناقض مضحك

٢٥- اشعياء / ٩ ٦ وواضح مدى التعارض بين تسمية المولود « اسما » وتسميته بعد قليل « ... »

٢٦- اشعياء ٦٣ ١٠ - ١٦

٢٧- إرميا / ٣١ ٩ وقد مر في سفر « الخروج » قول الله ، على زعمهم ، ان اسرائيل (لا تدري) هو اسم الكبر كما رأينا في المزمور ٨٩ انه هو داود وهو من تناقضات بعض الكتب التي لا تكاد تحصى

٢٨- هوشع / ١ / ١٠

٢٩- د احمد شلبي / اليهودية / ٢٧١ - ٢٧٢ ، وإبراهيم خليل أحمد / إسرائيل والتلمود ٦٧

٣٠- المائدة / ١٨ ويخاطب النصارى الله في صلواتهم قائلين « أبانا الذي في السماوات » كما تكرر في الأناجيل وصفه سبحانه بأنه أبوهم

٣١- النحل في الملل والأهواء والنحل / ١ / ٣٠٧ - ٣٠٨

٣٢- صهر المزمور ٤٥ / ٩ - ٩١

٣٣- في الأصل « موشاة » بالكسر وهو خطأ وكما في لغة الكتاب المقدس من الحظ، وركاكات ،

٣٤- سفر « حسر » هذه من الركاكات التي لا حصر لها في العهد القديم وهي فوق هذ خطأ دلك انها إن كانت « افعل فضل » كي تسل مجيء « من » ورامها فحسب ـ فحسب حتى تكون صفة اما إذ رفعت كما هي في النص فحسب تكون اسم لا صفة ولا يصح حسنة ان تتعلق بها مقارنة ، وهي لا تأتي حرف الجر « من »

٣٥- نفر ، اليهودية » للدكتور احمد شلبي / ٢٦٣

٣٦- ول ديورانت / ترجمة محمد بدران / ١٤ ١٦ وانظر كذلك د احمد سوسه / مفصل العرب واليهود في التاريخ / ٥٧٥ / حـ ٤٤

٣٧- مثل سفرين والجاحظ وابن حزم والقرطبي والمقريزي ومن كثير من الفرق والفرافي والمسعودي ورحمة الله الهندي والالوسي ومحمد رشيد رضا ومحمد الطاهر بن عاشور ح

٣٨- نقد د صابر طعيمه / الأسفار المقدسة قبل الإسلام ٧٤ - ٧٥

٣٩- انظر د. فواد حسنين علي / النوراة / ١٥ - ١٦

٤٠- تقول القصة الأولى - حين لوط كانا تعيشان مع والديهما في مكان منقطع عن الناس فاشتهيا الجماع وتحيل كل منهما بأحدهما حتى سكر وينام معه الواحدة بعد الأخرى في ليلتين متتاليتين ما الذي يتخصص في آن يهود من يعقوب قد رمي بأرملة ابنه ويوط ويهوذا من حفيد داود (تكوين ١٩ : ٣٠ - ٣٨ / ٣٨ : ١٢ - ١٩)

٤١- السمعان بن يحيى المغربي / افحام اليهود تحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوي / ١٥١ - ١٥٣

٤٢- في السفر المسمى بسفر العهد القديم لا نذكر عمرا أبدا على انه نبي انما هو كاهن وكاتب

٤٣- انظر يوسف أبو حلوة من إعجاز القرآن - العلم الأعجمي في القرآن مسترا بالقرآن / ٢٠٩ - ٢١٠

٤٤- د. احمد سلمي مهيدلة / ٢٤٢

45- Dr. Salah Ed-dine Kechrid . Al Qur'an al-Karim , p. 245 n 1

٤- هامان

وبالنسبة لهامان يرى الحاطب انهم يعدون ما قاله القرآن عنه غلطا فى الاخبار ودليلا على ان المسلمين ياخذون العلم عن غير الثقات ، اذ « هامان » الذى جاء ذكره فى القرآن كان معاصرا لفرعون ، على حين أن هامان فى العهد القديم كان يعيش فى زمن الفرس (فى عهد الملك احشويرش) بعد فرعون بدهر طويل . وذلك ، كما يقولون ، « معروف عند اصحاب الكتب ، مشهور عند اهل العلم »

وقد جاء فى القرآن أيضا ان فرعون انما اراد أن يبنى صرحا ليصعد فيه ويرى الله . وهم يقولون ان فرعون ان كان كافرا بالله فما معنى اتخاذه صرحا ليرى شيئا لا يؤمن بوجوده ؟ وان كان مقرا بوجوده سبحانه فاما أن يكون من المشبهة ، فكيف فاته أن من المستحيل بناء صرح يصعد من السماوات السبع حتى يصل الى العرش الالهى ؟ واما ان يكون من نفاة التشبيه ، فكيف يخطر على باله البحث عنه سبحانه فى مكان معين ؟ وعلى اية حال فلم يكن فرعون مجنونا او ناقص العقل حتى يفكر فى هذا الامر اصلا (١)

ويرى القارئ ان اصل التهمة يقوم على ان الرسول عليه السلام

هو الذى ألّف القرآن ، وانه قد استعاد من الاخبار الملفقة والروايات المضطربة التى لا نعرفها التاريخ ونحن نقول انه اذا اتفقت سورة محمد عليه الصلاة والسلام فلن تكون هناك سورة اخرى جديرة بالتصديق ، فان اخلاقه وصدقه وامانته (برغم كل ما يرميه به الكافرون بدينه) هى افضل واركى واقوم مما نصف به كتاب القوم المقدس أنبياءهم ، فقد نسب اليهم هذا الكتاب الزنا والفجور وشرب الخمر والكذب والقتل وعبادة الاصنام والدعارة ومضاجعة المحارم الخ ويستحيل ان يدعوا شيئا من هذا عليه صلى الله عليه وسلم مجرد ادعاء

وقد اشارت الى هذا الاختلاف بين هامان فى العهد القديم وبين هامان فى القران الكريم « دائرة المعارف الاسلامية » فقالت فى طبعتها الاولى تحت عنوان « هامان » « ان وضع محمد لهامان فى هذه الفترة (اى فى عهد فرعون) يجتمع اضطراب معرفته للتاريخ ، ذلك الاضطراب الذى يوجد فى القران امثلة كثيرة عليه وفى الحقيقة فإن التلمود (Sinh 106) والمدراس (Exodus R 18) يحتويان على خطأ تاريخى مشابه ، اذ يجعلان بلعام وايوب ويثرون جميعًا اعضاء فى مجلس شورى فرعون ، الذي كان من رأيه التخلص من موسى وهناك نص آخر فى المدراس (Num R 22) يصف هامان

وقارون بانهما أعمى رجليين فى الدنيا » (٢) . اما فى الطبعة الحديدة التى صارالت تصدر حتى الآن فقد حمت حدة الهجوم على القرآن واختصرت المادة الى حد كبير(٣) ولعل ذلك بداية التراجع عن استفادهم للرسول الكريم عليه السلام والكتاب الذى أنزل عليه فى هذه النقطة

كذلك أشار الى هذا الاختلاف القس توماس باتريك هيوز فى كتابه « Dictionary of Islam » ، اذ قال « يظن بعض النقاد الاوربيين ان محمدا قد جعل من هامان ، الذى كان وزيرا مقربا الى الملك احشويرش وعدوا لليهود ، وزيرا لفرعون ويقول الاحبار ان هذا الوزير هو قارون أو بلعون او بلعام » (٤)

ومازال القوم يظنون أنهم يستطيعون التشنيع بذلك على المسلمين وكتابهم ، وقد رددت هذه التهمة موجزا رسالة نصرانية فى الهجوم على القرآن الكريم تحمل اسم المجلس الملى القبطى بالاسكندرية (٥)

وقد اصبح معروفا لكل مهتم بالكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى ان هذا الكتاب غير اهل للثقة ، اذ يختلط فيه الحابل بالنابل ، ويزدحم بالاخطاء التاريخية والرياضية والعلمية ، ويعج بالمتناقضات حتى فى الصفحة الواحدة فى احيان كثيرة . وقد ألف فى بيان ذلك ما لا يحصى من الكتب والرسائل باقلام مفكريهم ورجال

دينهم قبل غيرهم

ولسوف اكتفي هنا بذكر بعض ما تنبهت اليه من هذه الاخطاء والتناقضات في سفر « استير » ... وهو السفر الذي جاء فيه ذكر هامان الفارسي وزير الملك احشويرش . وهذه الملاحظات هي ثمرة قراءة سريعة لهذا السفر

وسوف أعدل عن ركاكة الاسلوب في القصة ، وبالذات الفقرة الاولى مما حيث تتعثكل الجمل في يد الكاتب متنمزق خيوطها فتدور حول نفسه يكرر ما سبق ان قاله كي تستقيم له العبارة بعض الاستقامة . وهيهات ! ولا نُعقل ان يكون مثل هذا الكلام الردىء الاسلوب وحيا من عند الله . ولا نعقل ايضا ان ينزل وحي سماوي يبارك الدعارة والتوسل بها إلى سرير القصور الملكية واقتناص قلوب الاباطرة بالتفنن في اسالة لعابهم وقودهم من انوفهم للوصول الى ما يراد منهم من الاغراض السياسية . لا ، ليس يعقل ان توحي السماء لنبي (او حتى لشيطان) مثل هذا الكلام !

ويتلخص سفر استير في ان احشويرش ملك الفرس اراد من زوجته ان تظهر معه في احد الاعياد كي يرى الناس امتها وجمالها وزينتها . لكن الملكة رفضت ذلك ، فما كان منه إلا ان غضب عليها

وطلقها ، وبشر مرسومتا فى طول البلاد وعرضها بهذا . ثم زين له بعض رجال حاشيته ان يجمعوا كل من فى امبراطوريته المترامية الاطراف من عذارى فاتنات ليختار منهن من يرقن له . وكان من اولئك الفتيات استير اليهودية ، التى بعد ان قضى معها الملك ليلة داعرة استحوذت على قلبه فقربها اليه وتزوجها . وكان هناك وزير لهذا الملك اسمه هامان اضطغن على مردخاى ابن عم استير هذه دون أن يعرف بالقرابة التى بينها وبينه ، فاراد أن يهلك كل اليهود الذين بالبلاد . بيد ان مردخاى يتصل باستير ويعلمها بالمصيبة التى ستحل باليهود ، ويدبر معها مؤامرة توقع بالوزير فى ما اراد أن يصنعه بمردخاى ، فتصلب هو وبنوه على نفس الخشبة التى كان قد اعدها لصلب ذلك اليهودى عليها . ويتفشى اليهود فى البلاد ويعملون السيف فى الرقاب ويقتلون عشرات الالاف ويجعلون من اليوم الذى بشموا فيه وارسوا فى الدماء عيدا لهم يحتفلون به فى كل عام . ويجعل الملك مردخاى رئيسا لوزرائه واضعا فى يده كل شىء .

والتعمل ظاهر فى القصة اسد الظهور . ومن ذلك ان للعدد « سبعة » سيطرة على سائر عناصرها . فالملك لا يفكر فى استدعاء روحته لاظهار فتنتها وزينتها للناس الا فى اليوم (السابع) من بدء

الاحتفالات بتوليه الحكم ، وعدد الخصيان فى قصر الإمبراطور سبعة ، وعدد مستشارى الملك (او ، كما يقول مولف القصة ، الحكماء العارفين بالارصاد) سبعة ، وعدد الفتيات اللاتى اصطفين للملك اصطفاء من بين الاف العذارى الجميلات المجموعات من انحاء المملكة سبع ثم ان الستير قد دخلت على الملك فى السنة السابعة من جلوسه على العرش وولايات الإمبراطورية مائة و (سبع) وعشرون ولاية

ويظهر العسل ايضا فى ان الملك ، حين يريد من زوجته الطهور امام الجميع ، لا يكلمها بنفسه فى ذلك بل لا يرتبه مستقيما كما تقضى به تقاليد الملك ، بل يبعث هذا الخاطر فى دماغه فجاة بعد ان لعبت الخمر بعقله ، او بعبارة مولف القصة « لما طاب قلب الملك بالخمر » ليس هذا فحسب ، بل انه لا يعد الا خصيان القصر ليرسلهم الى الملكة كى تتحضر ، وكانها امراة من خرص الطريق او بائعة فى السوق ولا يجعل مولف القصة من القول ان الملك انما اراد الاتيان بالملكة وعلى راسها تاج الملك « لترى الشعوب والروساء جمالها ، لانها كانت حسنة المنظر » وهذه ليست عادة ملوك الشرق وبخاصة فى ذلك الزمن القديم وقد ابت الملكة ان تاتى ، وحين لبتها بذلك الملك ، على ما تقول القصة ، يستشيط غضبا

وتظل حاشية السوء توسوس له وتسعى فى أنفه مهولة فى عينيه صنيع الملكة وموحية له انه إذا لم يطلقها فسوف تكون مثلا سيئا يغرى بقية الملكة بعصيان أزواجهن والخروج على سلطانهم وفعلا يطلقها الملك وواضح مما يرمى اليه ملفق القصة ، انه يمهد الطريق امام استير لتعتلى العرش وتحكم ايدى قومها فى رقاب الفرس ، الذين كان اليهود يعيشون بين اظهرهم بيد ان اصول الفن القصصى تقتضى التشويق والتطويل والوصف المدعذع للتهيدات ، فقرر ان بعض رجال الحاشية اقترحوا على الامبراطور ان تُجمع له من انحاء البلاد بولاياتها المائة والسبع والعشرين كل عذراء جميلة كى ينتخب منهن واحدة تحل محل الملكة المطلقة وللقارىء ان يتصور كم يبلغ عدد هؤلاء الفتيات ، وكيف سيكون زحامهن عندما يتجمعن كلهن فى القصر قبل أن تُنْتخب منهن سبع يدخلن على الملك واحدة بعد واحدة ، فى كل ليلة واحدة يقضى معها العاهل الليل بطوله ، وفى النهاية يقرر انتهن التى تصلح له

ويقول مؤلف القصة ان الخصى الموكل بهذا الأمر كان يمنح ستة كاملة فى تهيئة الفتاة للقاء ليلتها مع الملك ستة اشهر فى تعطيرها بزيت المر ، وستة اشهر بالأطياب والادهان وتفوز استير دون العانيات

حميعًا بقلب الملك ويتحدها زوجة . وتكتم حقيقة يهوديتها عنه كما أوصاها مردخاى .

ويعلم مردخاى بمؤامرة كان يدبرها اثنان من حصيان الملك لقتله . وتبدو سذاجة القصة فى قولها إنه علم بذلك وهو جالس على أبواب القصر ، وكان باب القصر مكان يتجمع عنده كل عاطل ليس عنده عمل يشغله . ثم متى كانت المؤامرات تدبر على باب القصور ؟ بل كيف يفكر حصيان لا حول لهما ولا قوة ولا أتباع ولا عزوة فى قلب نظام الحكم فى امبراطورية عريقة كامبراطورية الفرس ؟

على أية حال فان مردخاى يقوم بنقل السر الى استير ، التى تخبر بدورها الملك فيقبض على الخصيين ويحقق معهما ويصلبهما وتدوّن الحادثة فى حوليات المملكة .

وكان هامان رئيس الوزراء ، عند دخوله على الملك او خروجه من لديه ، يسجد له حسب اوامر الامبراطور الموطفون الذين ببات القصر . أما مردخاى فقد اصر على الا يحنو او يسجد ، وهم انه مجرد أجنبى غريب ، وفوق ذلك يهودى مستضعف . ويمتلىء هامان غضبا ، ولكنه لا يفكر فى الانتقام من مردخاى وحده بل من يهود المملكة جميعًا ، ويعطيه الملك تفويضا مطلقا بعمل كل ما يريد بهم

ويعلم مردخاى بالامر . وكان المفروض أن يكون علمه به عن طريق الملكة ابنة عمه ، التى لابد أن يطلعها الملك على الأمر اليست زوجته ؟ اليس الملوك يتحدثون عادة أول ما يتحدثون إلى زوجاتهم ؟ لكن معرفة مردخاى بهذا القرار لم تكن عن طريق أستير ، بل كان هو الذى أعلمها به . اما كيف توصّل إلى إخبارها بما علم فتقول القصة إنه لبس مسحا وذهب وهو يصرخ ويسوح إلى باب القصر فرأته حواوى الملكة وخصيانها . الذين أسرعوا وحكوا لها ما شاهدوا وما سمعوا

وتخطط استير ، بتحريض من ابن عمها ، لاحباط مؤامرة هامان والايقاع به فى نفس الشَرَك الذى كان قد نصبه لمردخاى وقومه ويتصادف ، ويا للعجب ، أن ينصاب الملك فى ذلك الوقت بارق لا يحد ما يبدوه به عن نفسه الا احضار حوليات المملكة والقراءة فيها ويتصادف ان يقرأ فيها قصة المؤامرة التى دبرها له الخصيان وكشف أمرها مردخاى . ويتذكر الملك عندئذ ، وعندئذ فقط ، انه لم يجز مكافأة الرجل . ويتصادف ايضا عند ذلك ، ويا للعجب ، دخول هامان على أحشويرش ، الذى يبادره بالسؤال عما ينبغى فعله لرجل يسر الملك أن يكرمه . ويظن هامان ان الملك يقصده فيشير عليه بان يلبسه ملابسه السلطانية ويجلع عليه تاجه ويركبه على فرس يطوف به ساحة

المدينة واماسه الخدم يبادرون ، فيأمره الملك عندئذ أن يسرع فيفعل هذا بمردخاى اليهودى . وللقارىء أن يعجب من الأسلوب الذى اتبعه الملك فى احضار وزيره بما يريد وكأنه يلعب لعبة « حاوريني يا قطيطة » فيلف ويدور قبل أن يصارحه فى النهاية باسم الشخص المراد تكريمه انها هى هى حكمة القصص الشعبى ، وبالذات كما نعرفه فى « الف ليلة وليلة » . ولا ننس ان « الف ليلة وليلة » هى فى أصلها الاول عمل فارسى هندى . وقد كان أحشويرش ، كما جاء فى قصة أستير ، ملكًا على بلاد فارس والهند جميعا

وفى وليمة كانت استير قد اعدتها لاحشويرش ومعه هامان يعرض الملك عليها ان تطلب اى شىء تريد ، حتى لو كان ذلك نصف المملكة ، كى يحققه لها فى الحال ، فتحيره بالحقد الذى يكنه هامان لشعبها ، فيقوم الملك مغتاظا ويخرج الى حديقة القصر تاركا زوجته مع وزيره ، الذى اكب عليها يستعطفها على سريرها . وساعتها يعود الملك فيجده على هذا الوضع فيظن انه يراودها عن نفسها . وواضح هندى السذاجة فى ترتيب احداث القصة على هذا النحو الذى يتهىء المولف به الظروف لايقاع الكيد بالوزير . ويامر الملك بصلب هامان وتمكين مردخاى وشعبه من اعدائهم ، فيقتلون عشرات الالوف بما فيهم

الاطفال والنساء ، وفى مقدمتهم هامان وأبناؤه ، ويستولون على أموالهم وممتلكاتهم - وهى نهاية تذكرنا نهايات القصص الشعبية حتى انه لم يبق الا ان يقال : « وعاش اليهود فى نبات ونبات ، وخلفوا صبيانا ونبات ! »

فهذه هى القصة التى يريد المعترضون على كتابتنا أن يحاكموه إليها - انها لا يمكن أن تكون وحيًا ، فليس من المعقول ان يكون موضوع الوحى مثل هذا القصص الحسى ولا أن يكون اسلوبه بالركاكة التى اشرت اليها وكذلك يمنع من الاطمئنان اليها كتاريخ ما فيها من تعمل واضح ومصادمات متكررة ومجافاة لمنطق العقل والاحداث ، ان روح الحوادث وحبكتها الغبية واضحان فيها اشد الوضوح

ويشكك د. أحمد شلبى فى هذه القصة ، مؤكدا انها ليست من التاريخ فى شىء « انما هى أسطورة يرسم بها مؤلفها الطريق للنساء الاسرائيليات ان يتخذن من جمالهن وسيلة لخدمة بنى اسرائيل وخدمة اعراضهم » (٦) ويعتبر هذا الرأى ما لوحظ من ان عزرا ونحميا (وهما من أنبياء العهد القديم ، ولكل منهما فيه سفر قص فيه احداث النبى الذاتى) لم يشيرا إلى استير ولا إلى شىء مما جاء فى السفر المسمى باسمها كما أن هيرودوت ، مؤرخ الاغريق الذى عاصر

الإمبراطور الفارسي أحشويرش وكتب سيرة حياته وحكمه ، لم يذكر شيئا مما ذكرته هذه القصة (٧) ويدهب بعض الباحثين الى ان القصة يمكن ان تكون في الاصل اسطورة بابلية احدها اليهود وحرفوها لتوائم أغراضهم ، اذ ان هامان هو اسم احد الآلهه العيلاميين ، كما أن مردخاي هو اسم اله كلدائي . اما اسم أستير فليس بعيدا أن يكون تحريفا للالهة عشتار (٨) (التي يُنطق اسمها ايضا « اشتار » و « أستير » و « عشتروت ») ولعل هامان الوزير المصري الذي كان يساعد فرعون في اضطهاد بني اسرائيل قد اختلط بشخصية ذلك الاله العيلامي القديم وخرجت من هذا المزيج تلك القصة التي يقصها عليها كاتب سفر استير

ولعل من المفيد ان نشرح للقارئ، كيف يوصي احبار اليهود شعبهم بالاحتفال بعيد البوريم ، وهي المناسبة التي تقول هذه القصة إن الله قد نجى فيها اليهود واوقع باعدائهم على يد استير ومردخاي « تقول رب ربا Rab Raba ان على الانسان ان يشرب في ذلك اليوم حتى لا يستطيع التمييز بين قولهم : ملعون هامان ، وملعون مردخاي » (٩) وهي طريقة في الاحتفال تناسب تماما ما في القصة من حس وخمر ومؤامرات سياسية تحيكها ايدي البغايا والمراديين

وفى الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى نجد نساء أخريات يمس بعض هذا الدور الذى قامت به أستير ، مثل يهوديت ، الأرملة الجميلة التى لها سفر باسمها كسفر استير فى نسخة « العهد القديم » الكاثوليكية ، وسالومى ، التى رقصت عارية أو شبه عارية لعمها الوالى بتحريض من أمها الفاجرة حتى سال لعابه وفقد عقله وهو يراها بكل شبابها وفتنتها تتلوى امام عينيه فقدم لها رأس يحيى عليه السلام على طبق حينما ارادت كى يحلو الحمر لها ولأمها للفجور مع ذلك العم البدل ، كما جاء فى العهد الجديد

على اننا نجد ان سفر ايضا فيما سجله العهد القديم من احداث الفترة التى سكن فيها بنو اسرائيل مصر بعد أن هاجر اليها يعقوب عليه السلام واولاده إلى أن خرج موسى وقومه منها ذلك أن هامان قد ورد ذكره فى القرآن الكريم فى آخر حلقة من حلقات سكنى الاسرائيليين فى مصر ، وهو ما يذكره المعترضون على كتابنا المعيد بحجة أنه لم يجىء له ذكر فى سفر « الخروج » فى العهد القديم ، فنريد ان نسطر فيما رواه كتاب القوم عن بنى اسرائيل فى بلاد الفراعنة لنرى مقدار ما فيه من استقامة او انحراف ونعرف الى اى مدى يمكن الركون الى ما نقول واتخاذه مستندا تاريخيا نعول عليه

وقد قرأت قصة بني إسرائيل في مصر كما جاءت في العهد القديم قراءة سريعة فخرجت منها ببعض الأشياء التي يجب عرضها على القارئ، كي يكون على بينة من امر كتابهم المقدس الذي يريدون أن يحاكموا القرآن اليه . وقبل أن اعرض ملاحظاتي اسوق ما وجده علامة الاندلس ابن حزم العظيم في العهد القديم من خطأ فاحش وقع عند حساب المدة التي قضاها بنو اسرائيل في مصر القديمة . وذلك انهم يقولون ان قاهات بن لاوي بن يعقوب دخل مصر مع ابيه وجده وعمره ١٣٣ سنة ، وان عمران بن قاهات عاش ١٣٧ سنة ، وان موسى بن عمران خرج مع بني اسرائيل من مصر وهو ابن ثمانين سنة (١٠) فلو افترضنا أن قاهات دخل مصر في اول حياته ، وان كلا من عمران وموسى وُلد بعد وفاة ابيه لكان مجموع السنين التي قضاها بنو اسرائيل في مصر من لدن دخول يعقوب الى خروج موسى ٣٥ سنة . على حين تقول العهد القديم ان مجموعها ٤٣٠ سنة (١١) ، بفارق ٨ سنة بين الحسابين . وحتى لو اضفنا السنوات التي قضاها يوسف بمصر قبل مجيء قومه ، وهي ٢٢ سنة (١٢) لظل هناك فرق ٥٨ سنة . وهذا بطبيعة الحال لو تصادف أن كان دخول قاهات مصر في مبدأ حياته ، وولد كل من موسى وعمران كما افترض ابن حزم

بعد موت أبيه . وهي مسامحة شديدة من ابن حزم ، إذ يصعب جدا جدا أن يتحقق ذلك (بل هو لم يتحقق فعلا) في الواقع ، والا فالفرق بين الحسابين اكبر من ذلك كثيرا . والقوم هم هم الذين ذكروا الحسابين ، لا أحد آخر . ويقول ابن حزم تعقيبا على هذا التناقض « ولو لم يكن في توراتهم إلا هذه الكذبة وحدها لكفت في انها موضوعة مبدلة من حمار في جهله او مستخف ساخر بهم ولابد » (١٣)

وقد وجدت تناقضا في تعداد سني يعقوب الذين اتوا معه إلى مصر ، اذ قيل انهم ٦٦ نفسا . وفي السطر التالي لذلك مباشرة انهم ٧٠ (١٤) . وهذا تناقض فاحش ، ويزيده فحشا انه في سطرين متتاليين . والحقيقة ان العدد الصحيح ، كما لاحظ ابن حزم ، لا هو هذا ولا ذاك . انما هو ٦٧ (١٥) . ويمكن القارىء التحقق من ذلك بنفسه لو قرأ الآيات ٨ - ٢٦ من الاصحاح السادس والاربعين من سفر « التكوين » .

كذلك يرتبك قارىء العهد القديم حينما يجد أن الأرض التي سكنها يعقوب واولاده في مصر هي ارض جاسان مرة (١٦) ، وارض رعمسيس مرة أخرى (١٧)

وفى الاصحاح التاسع والاربعين من سفر « التكوين » تناقص آخر ، اذ جاء فى الآية ٢٨ أن يعقوب حين دعا بنيه اليه قبيل موته باركهم واحدًا واحدًا ، بينما كان كلامه لشمعون ولاوى فى نفس الأصحاح (آيات ٥ - ٧) على هذا النحو : « شمعون ولاوى أخوان آلات طلبه سيوفهما فى مجلسهما لا تدخل نفسى بمجمعهما لا تتحد كرامتى لانهما فى غضبهما قتلا انسانًا وفى رضاهما عرقبا ثورا ملعون غضبهما فانه تشدد وسخطهما فانه قاس أقسمهما فى يعقوب وأفرقهما فى اسرائيل » . وهذا نص لا مشاركة وقبيل ذلك وجه الحديث الى راوبين ، الذى بنى باحدى سراريا أبيه (١٨) ، قائلاً : « فائرًا كالماء لا تتفضل لانك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنسته . على فراشى صعد » . ولا أظن هذا من المباركة فى شىء . أما قوله عن راوبين نفسه فى أول حديثه اليه : « راوبين ، أنت بكرى وقوتى وأول قدرتى فضل الرفعة وفضل العز » فهو كلام لا يمكن أن يخرج من فم نبى كريم ان صح ما يقوله العهد القديم عن اعتداء أبيه على عرضه ذلك الاعتداء الشنيع انما هو بكلام الديوثين أشبه ، والا فكيف يفتخر يعقوب بهذا الافتخار بذلك الاثم الفاجر المعتدى على عرضه ؟

وإذا قرأنا قصة ولادة موسى وما فعلته أمه بعد أن لم تستطع الاستمرار في إخفائه عن عيون رجال فرعون الموكلين بقتل الرضع من بني اسرائيل نجد أن كاتب القصة يقول إن أم موسى أخذت سفطا من البردي وطلته بالحُمر والزفت وارقدت الطفل فيه ، ثم وضعته بين الحلفاء على حافة النهر ، حيث التقطته ابنة فرعون (١٩) . وواضح أن التابوت لم يُلق في الماء . وانما لتتساءل : فلم اذن طلته الأم بالحُمر والزفت ، وهما المادتان اللتان تُطلى بهما القوارب وما أشبه لمنع دخول الماء فيها حتى لا تغرق ؟ إن هذا ، لو صح أن السفط لم يُلق في الماء ، لهو تصرف يفتقر إلى المنطق والحكمة . فاذا مضينا في القراءة فوجدنا بأن ابنة فرعون تسميه « موسى » وتقول : « انى انتشلته من الماء . » (٢٠) . وهكذا يتبين لنا ، مما يقوله كاتب السفر نفسه ، ان السفط كان قد أُلقي في النهر لا على الحلفاء النابتة على شطه . ومعنى هذا أن القصة تتناقض مع نفسها . اما القرآن فقد قال قولا واحدا ان الله سبحانه قد الهم ام الرضيع ان تلقي به في تابوت وتقذف بالتابوت في اليم (٢١)

ومثل هذا التناقض نجده في اسم حمى موسى : فهو مرة مهوسل (٢٢) ، ومرة يثرون (٢٣) ، وذلك في عدة اسطر قلائل لا

عبير ، ومرة ثالثة حوبات بن راعوئيل (٢٤) ، وهذه الثالثة اطلع وادعى ، لانه بهذه الطريقة قد اصبح ابن نفسه

ونفس الشيء نجده في الاسم الذي سمّى به رب العزة نفسه لموسى كي يخبر به بني إسرائيل ، وذلك حين سأله موسى قائلا « فاذا قالوا لي ما اسمه ، فماذا أقول لهم فقال الله لموسى أهيه الذي أهيه وقال هكذا تقول لبني اسرائيل أهيه ارسلني اليكم » وفي الاية التالية مباشرة يكرر الله كلامه لموسى قائلا « هكذا تقول لبني اسرائيل يهوه اله آبائكم إله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب ارسلني اليكم ، وهذا اسمي إلى الأبد » (٢٥) فهل هو أهيه أم يهوه ؟ اليس ذلك مريبا ؟ ثم اهذا هو الكتاب الذي يجعله القوم اساسا يقيسون به صحة ما جاء في القرآن أو خطأه ، وبخاصة في مسألة الأسماء ؟

وعند إخبار الله تعالى عبده موسى أنه قد اختاره نبيا يجعله كاتب سفر « الخروج » يعترض على هذا الاختيار الالهي ويكلم ربه على نحو غير لائق البتة ، اذ يقول : « اسمع ايها السيد لست انا صاحب كلام منذ أمس ولا من حين كلمت عبدك ، بل انا ثقيل الفم واللسان » وحين يطمئنه ربه إلى انه سيسعث معه هارون ليكلم فرعون

بالنيابة عنه يعصى موسى فى الاعتراض الخشن قائلاً « استمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل » . ويعترى كاتب القصة على الله قائلاً « فحمى غضب الرب على موسى » (٢٦) إن القصة بهذه الطريقة تصور موسى فى خطابه لربه وكأنه بدوى حلف يكلم بدويا حلفا مثله ثم كيف يحمى غضب الله على من اختاره بنفسه نبيا لحمل رسالته ؟ وليس شىء من ذلك فى القرآن الكريم ، فصورة موسى ، مثل سائر الانبياء ، هى الصورة التى تليق برسول الله آدبا مع ربه واخلاقا له ومعرفة بقدره وجلاله

وعلى خلاف القرآن الكريم ، الذى يجعل من هارون نبيا مع موسى ووزيرا ومعضدا له (٢٧) ، يجعله كاتب سفر « الخروج » نبيا لموسى ، ويجعل موسى الها له (٢٨) ، وكذلك إلها لفرعون (٢٩) فما هذا الاضطراب ؟ وما هذا التسخف ؟ بل ما هذا الكفر ؟

وفى سفر « الخروج » أيضا يأمر الله سبحانه موسى أن يدخل هو وشيوخ بنى اسرائيل الى فرعون ويطلبوا منه ان يطلق سراح قومهم (٣) ولكن بعد صفحتين اثنتين فحسب ينسى مؤلف السفر ذلك ويقول بدلا منه ان الذى دخل على فرعون وطلب منه هذا هو موسى وهارون ، لا موسى وشيوخ بنى اسرائيل (٣١)

ويشبه هذا أن الله ، عند لقائه لموسى ، يأمره ان يصنع ايتى العصا واليد بنفسه ، وعند التنفيذ نجد أن هارون هو الذى يفعل هذا لا موسى (٣٢) ، وبناء على امر الله ايضا (٣٣) .

كذلك نجد نفس الاضطراب عند الكلام عن معجزة تحويل الماء إلى دم ، اذ يهدد موسى فرعون انه سيضرب بالعصا التى فى يده على الماء الذى فى النهر فيتحول دمًا ويموت السمك الذى فيه ويتن النهر ، ثم يأمر الله عكس ذلك موسى ان يجعل هارون هو الذى يصنع هذا (٣٤)

وكان الله قد طلب من موسى ان يأخذ من ماء النهر ويسكب على اليابسة فيصير الماء الذى يأخذه من النهر دمًا على اليابسة (٣٥) ولكن عند التنفيذ نجد ان هارون ايضا هو الذى يقوم بذلك ، لكن ليس على هذا النحو ، اذ ضرب هارون الماء الذى فى النهر فتحول كله دما . الخ وهذا أيضا تناقض

وجاء فى الاصحاح السابع من هذا السفر ايضا ان هارون اكبر من موسى بثلاثة أعوام (٣٦) ، رغم ان الاصحاح الثانى يقول عن ولادة موسى « وذهب رجل من بيت لاوى وأخذ بنت لاوى ، فحبلت المرأة وولدت ابنا ولما رأته انه حسن حبأته ثلاثة اشهر ولما لم

يمكنها أن تحمله بعد أخذت سفطا من البردى وطلته بالحُمر والزفت ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر . ووقفت أخته من بعيد لتعرف مادا يُفعل به » (٣٧) ، وهو ما يُفهم منه ان موسى هو بكر ابويه ، اى انه كان أكبر من هارون وحتى لا يقول أحد . « لعل هارون لم يكن شقيق موسى » أبادر فاذكر أن اباهما واحد (وهو عمرام) ، وامهما واحدة (ويُسمها ، كما جاء فى العهد القديم ، يوكابد) (٣٨) .

وفى التسبحة التى ترنم بها موسى وشعبه بعد غرق فرعون وجنوده فى اليم يسمعهم يمجدون غرق اعدائهم قائلين « « هبطوا فى الاعماق كحجر » ، و « غاصوا كالرصاص فى مياه عامرة » (٣٩) . وهو ما تكرر ايضا على لسان اللاويين فى سفر « نحمْيا » ، إذ قالوا فى مناجاتهم لربهم « ورأيت دل اباءنا فى مصر وسمعت صراخهم على البحر اى سوف . وطلقت اليه امامهم وعبروا فى وسط البحر على اليابسة وطرحت مطارديهم فى الاعماق كحجر فى مياه قوية » (٤٠) ، وذلك رغم ان فرعون وجنوده لم يقتحموا الماء حتى يقال انهم غاصوا فيه كحجر ، بل الماء هو الذى غطاهم كما جاء فى العهد القديم نفسه (٤١) . أما القرآن الكريم فلا يقول الا انه قد « غشيهم من اليم ما

جسميه » (٤٢) ، وهو ما يتسق مع الطريقة التى عرق بها أعداء بنى اسرائيل كما وصفها كل من الكتابين

ويقول سفر « الخروج » (٣٣ / ٢٠) « قال (الرب لموسى) - لا تقدر أن ترى وجهى ، لأن الانسان لا يرانى ويعيش » (وان قيل عقب ذلك ان من الممكن أن ينظر موسى وراء الله بعد أن يختار ، وكان لله خلفا وقداما ، وظهرا ووجها بالمعنى الحرفى للظهر والوجه) (٤٣) وبنسى كاتب السفر انه قال فى موضع آخر ان الله كان يكلم موسى « وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه » (٤٤) وهو ما أكده سفر « العدد » ، اذ جاء فيه (١٢ / ٧ - ٨) « واما عبدى موسى فليس هكذا بل هو أمين فى كل بيتى . فمًا إلى فم وعيانا اتكلم معه لا بالالغاز » ، وقاله موسى نفسه حسبما جاء فى سفر « التثنية » (٥ / ٤) « وجها لوجه تكلم الرب معنا فى الجبل من وسط النار » ليس ذلك فحسب ، بل رأى الله مع موسى هارون وناداب وابيهو وسبعون من شيوخ بنى اسرائيل « راوا اله اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الازرق الشفاف وكذات السما فى النقاوة فرأوا الله واكلوا وشربوا » (٤٥) اما القرآن الكريم فانه يؤكد انه لا موسى ولا بنو اسرائيل قد راوا الله ، فقد

أصابته كما اصابتهم الصاعقة (٤٦) وهذا هو اللائق بجلال الالوهية وعظمتها اللاهوتية .

من تتابع الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى قوله إن هارون عليه السلام هو الذى صنع العجل الذى عبده بنو إسرائيل اثناء غياب موسى اربعين ليلة حين ذهب لميقات ربه ، وانه بنى مذبحًا لعبادة ذلك العجل اخذ الاسرائيليون يرقصون فيه عرايا وقد بانت سوءاتهم وتعرت استاههم وزاد كاتب القصة فنسب إلى هارون الكذب ، إذ ادعى لموسى انه لم يفعل اكثر من ان طرح الذهب الذى جمعه من بنى اسرائيل فى النار فخرج العجل ، مع ان القصة تقول انه هو الذى صنعه وبحته بالازميل بحتا (٤٧) ولكن القرآن يقرر ان الذى صنع العجل انما هو السامرى ، وان هارون قد رفض ذلك رفضا قاطعا ووقف فى وجه قومه ولكنهم لم يستمعوا له وكادوا ان يقتلوه (٤٨) وهذا الذى يقوله القرآن هو ما يحمله العقل ويسلم له الضمير ، اذ لا يمكن ان يقدم نبى على صنع صنم وعبادته ، والا كانت النبوة عبثا فى عبث ان هارون بذلك الذى ينسبه اليه مؤلف سفر « الخروج » نهتانا وكذبا يكون اول من خالف الوصايا التى تلقاها موسى على الجبل ليبلغها قومه « لا يكن لك آلهة أخرى امامى لا تصنع لك

تمثالا منحوتا ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الارض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن . لأنى أنا الرب الهك غيور » (٤٩) ، « لا تصنعوا معى آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب » (٥)

على ان اضطراب القصة لا يقف عند هذا الحد ، فهى تقول ان موسى عليه السلام قد امر بنى لاوى (الذين هو واحد منهم) أن يقتلوا جميع ذويهم واصدقائهم واهل بلدهم ممن اقترفوا خطيئة عبادة العجل ، وان محصلة القتل فى ذلك اليوم كانت ثلاثة آلاف رجل (٥١) ويتساءل ابو الاعلى المودودى بحق « لم لم يقتل هارون اذا كان هو صاحب عبادة العجل ؟ لم لم يطلب بنو لاوى من موسى ان يقتل أخاه هارون ، الذى كان هو الاثم الحقيقى ، بالضبط كما طلب منهم ان يقتلوا اخوتهم ؟ » ان الكتاب المقدس كما لاحظ المودودي ايضا ، يذكر ان موسى بعد هذه الواقعة رجع الى ربه داعيا اياه ان يغفر لقومه خطاياهم او يمحوه من كتابه ، فاجابه الله قائلا : « ان من اخطا الى أمحوه من كتابى » ، ومع ذلك لم يمح اسم هارون ، بل على العكس خلع الله عليه هو واولاده وسائر ذريته مسؤولية الكهانه والقيام على المذبح (٥٢) ويخلص المودودى من ذلك

إلى أن الكتاب المقدس يناقض نفسه بنفسه ، وان الحقيقة هي ما قاله القرآن الكريم عن أن هارون برئ تماما من صنع العجل ومن عبادته (٥٣)

ويبدو غريبا أشد الغرابة ان يقول الله عن نفسه جسيما جاء في أكثر من موضع بالعهد القديم : « افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي » (٥٤) والأغرب من ذلك أن يذكّر الى جانب هذا قولَه سبحانه عن نفسه ايضا : « غافر الاثم والمعصية والخطية » (٥٥) ان هذا لا يتسق مع ذاك أبدا ونحن المسلمين نؤمن أنه سبحانه غفور رحيم ، وانه لن عاقب فسيعاقب المخطئ فقط ولا يحمل وزر وأوزار اخري ولو كانت ذات قربى هكذا قال القرآن الكريم ، وهو الذي يوافق العقل والكرم الالهي

وفي سفر « العدد » نقرأ ان هارون ومريم قد تكلما على أخيهما موسى « بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها فقالا هل كلم الرب موسى وحده ألم يكلمنا نحن ايضا » ، وان الله قد غضب عليهما ثم تماديا غضب ذلك أن مريم قد عوقبت وحدها ، وكان عقابها اصابتها بالمرض (٥٦) ليس غريبا ان يجرح اثنان نفس السيئة فيعاقب واحد فقط ؟ واغرب من ذلك ان الله لا يعاقب هارون على

صنع العجل ، وهو كفر بواح ، ويعاقب مريم على ما لا يمكن أبدا قياسه بذاك ، اذ هو إن صح لا يعدو غيرة بين الإخوة . وأين الكفر من الغيرة التي تكون بين بعض الاخوة والاخوات ؟

ويسهب كاتب سفر « الخروج » الدم إلى الله سبحانه ، ويجعل بدمه ساعة على أمر موسى له « لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذي اخرجته من ارض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة ... ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك ... فندم الرب على الشر الذي قال انه يفعله بشعبه » (٥٧) وكان الله قد غضب على بني اسرائيل لعبادتهم العجل ومع هذا ففي سفر « العدد » يقول بلعام عنه سفر وحي « اصغ الى يا ابن صفور ليس الله إنسانا فيكذب ولا ابن انسان فيندم » (٥٨) وهذا ، وان كان هو الذي يليق بعظمته سبحانه ، يتناقض أيما تناقض مع النص السابق

وبعد ، فهذه فقط بعض الاخطاء والسحابات والتناقضات والاحالات التي وقع فيها الكتاب المقدس في القصتين اللتين يريد الموصون به أن يحاكموا اليهما القرآن الكريم وما من مرة وضعنا ما جاء في القرآن الكريم بازاء ما قاله ذلك الكتاب الا رجحت كفة القرآن

اذن ، فلا معنى للاحتجاج بأن اسم هامان قد ورد فى العهد القديم بصفته وزيرا لاحشويرش الفارسى ، لا وزيرا للفرعون كما جاء فى القرآن الكريم ومع هذا نسوق بعض الظروف عسى ما مر كانه لم يكن ، ونفترض ان هامان كان فعلاً وزيرًا للامبراطور الفارسى . فهل يمنع هذا انه كان هناك هامان آخر قبل ذلك فى مصر ؟ أم ترى هذا امرًا مستحيلا ؟ ولكن ما وجه الاستحالة فى ذلك ؟ لقد ورد هذا الاسم فى اوراق البردى المصرية (٥٩) كما كانت العلاقات بين مصر وفارس قائمة على قدم وساق فى الزمن القديم مثلها فى العصر الحديث ، فاى غرابة فى ان يوجد اسم « هامان » هنا وهناك ؟ هذا إن كان الاسم واحدًا ولم يكن لكل منهما اشتقاق مختلف ، مثل « موسى » ، الذى كانت تتسمى به أم البشر فى اساطير الصين القديمة ، و « موسى » ، الذى تتسمى به كثير من الفتيات المصريات الآن .

ويعتقد محمد بيومى ان اسم « هامان » الفارسى هو تحوير لاسم « آمون » الذى كان يتسمى به او يلقب اليه ملوك مصر ووزراؤها ، مشيرا الى ان مصر فى ذلك الوقت كانت خاضعة لسيطرة الفرس (٦٠) ولرءوف ابو سعدة رأى حد قريب من هذا ، اذ يقول ان

النطق الصحيح لاسم « آمون » هو « آمان » ، وإن « هامان » (الذى يرجّح ان يكون لقبا لكبير الكهنة فى مصر على عهد فرعون موسى لا اسمًا لاحد الوزراء) هو لفظ مركب من اسم هذا الاله مسبوقًا بكلمة « ها » ، التى تعنى « المدخل » ، فيكون معنى اللقب هو « الماثل إلى امون » (٦١) ، اى المتصل به والوسيط بينه وبين من يعبدونه ، وقد كان هامان اسمًا كذلك لاحد الآلهة العيلاميه كما مر بيانه . وبالمناسبة فـ « امون » هذا هو ايضا اسم ملك اورشليم ، ابن الملك منسى ، ووالد الملك يوشيا ، الذى يقال ان حلقيا الكاهن قد وجد نسخة من شريعة موسى فى عهده (٦٢) . فما قول المنكرين فى هذا ؟ اتراهم ينكرون ذلك الملك اليهودى ايضا لهذا السبب ؟ ومن شعراء العرب المعاصرين من تسمى باسم « ادونيس » ، وهو اسم احد الآلهة السورية القديمة ؟

ومن المصريين فى عصرنا من اسمه « حيرم » على اسم احد ملوك صور القديمة . وكان فى حاشية الملك عبد العزيز آل سعود من اسمه « (رشاد) فرعون » . وقد كان اسم « الناصرى » لقبا للمسيح عليه السلام ، حتى حكم جمال عبد الناصر مصر فاصبح كل واحد من اتباع خطه السياسى يسمى بـ « الناصرى » . كما ان لقب

« المسيح » قد اطلقه إشعيا من قبل على قورش ملك الفرس . وكذلك لقب به جرڤيال ملك صور . وهناك كاتب مسرحي مصري شهير اسمه « ليبين » سعيدًا ، فيما يظن ، لقائد الثورة الروسية . واذكر ان أحد الفلاحين المصريين قد وُلد له طفل ايام العلاقات الوثيقة التي كانت بين عبد الناصر وخروشوف فسماه باسم هذا الاخير . ولا ننس أن زوجة خورباتشوف اسمها « ريسة » (تحريفا لكلمة « رئيسة » العربية فيما قرانا) . وأي امرأة روسية من مثل ذلك الاسم العربي ؟ وما لنا نمضي بعيدا وقد كان من النصارى في عصر الحاطب من يتسمون باسماء المسلمين بل باسماء آل البيت كالحسن والحسين والعباس والفضل وعلي ويكتنون بها ، حتى ان الحاطب قد سخر من ذلك قائلاً انه « لم يبق الا ان يتسموا بمحمد ويكتنوا بابي القاسم » ؟ (٦٣) وقد اشار المقريزي ايضا الى ظاهرة اشتراكهم مع المسلمين في الاسماء والكنى (٦٤) . أما الآن فانهم يكرهون ان يتسموا بذلك كراهية العمى

وما اكثر الاسماء التي يُطْلَق كل منها على اكثر من بلد ، مثل « Cairo » (اسم « القاهرة » بالانجليزية) الذي تُسمى به عدة مدن في مختلف انحاء العالم ، و « باريس » ، الذي يطلق على العاصمة

الفرسية وعلى قرية معمورة فى إحدى الواحات المصرية على ما ذكر د. احمد امين فى كتابه « حياتى » ، و « مراغة » ، وهو اسم ملدة بكل من صعيد مصر وبلاد فارس ، و « طرابلس » ، الذى يُطلق على « طرابلس الشام » و « طرابلس الغرب » جميعا ، و « حلوان » فى كل من مصر والعراق . ولو رجع القارىء الى « معجم البلدان » لياقوت الحموى مثلا فسوف يجد كثيرا من هذه الاسماء ، التى قد يطلق بعضها على ثلاثة مواضع وربما اكثر . ومن ذلك « آمد » و « ايوان » و « انهر » و « الاثلة » و « برعوث » و « برقة » و « الجماهرية » و « السند » و « العين » و « الكرش » ... الخ

الخ . وقد كان اسم « بابل » يطلق أيضا على روما وامبراطوريتها قبل الامبراطور قسطنطين أيام أن كانت تدين بالوثنية (٦٥) . وقد اشار اليها بذلك الاسم القديس بطرس فى نهاية رسالته الاولى . كما تكرر ذكر يوحنا اللاهوتى لاسم « بابل » فى رؤياه غير مقصود به بابل المعروفة (٦٦) ولعلها اورشليم وبابل ، جسما يدعى مؤلف سفر « التكوين » ، هى المدينة التى أراد البشر بعد الطوفان بناءها ، لكى الرب حقد عليهم وعلى تجمعهم فى مكان واحد وتكلمهم لغة واحدة فبددهم فى ارجاء المعمورة وبلبل السنتهم (٦٧) . فما القول فى

هذا ؟ وفى كل من مصر والهند بعد كلية باسم « دار العلوم » ، كما أن فى كل من بريطانيا وأمريكا جامعة باسم كمبردج .

وما القول أيضا فى أن بعض المصريات يتسمين بأسماء دول ، مثل فرنسا واندلس وسورية ، وأن « فارس » من أسماء أعلام الذكور المشهورة بين العرب ، وهو فى نفس الوقت اسم « إيران » قديما ؟ وهناك نساء عربيات يحملن الحضر اسمهن « هند » على اسم شبه القارة الهندية . وكذلك توجد منتجة سينمائية مصرية اسمها « اسيا » ، وهو اسم القارة المعروفة

ويتحدى ابو الاعلى المودودى الذين يحطون القرآن لذكره هامان مع فرعون ان يقدموا قائمة باسماء وزراء فرعون تخلو من اسم « هامان » ، والا فليس يحق لهم ان يعترضوا عليه (٦٨) .

وقد رأينا ان الحاخامات اليهود يجعلون وزير فرعون هذا واحدا من ثلاثة : قورح او يثرون او بلعام (٦٩) فاما « قورح » فقد جاء ذكره فى سفر « العدد » فى العهد القديم على انه واحد من تلك المجموعة من بنى اسرائيل التى ثارت على موسى وتحدته فخسف الله بهم وبدورهم وممتلكاتهم الارض (٧٠) وهو الذى جاء ذكره فى القرآن فى سورة « القصص » باسم « قارون » (٧١) فاين قورح هذا من

الوزارة لفرعون ؟ واما « يثرون » فقد رأينا أنه اسم حمى سيناء ، وكان كاهنًا فى مديان . ويبقى « بلعام » ، وهو اسم الرجل الذى توسّل اليه ملك موآب ، على ما يقول كاتب سفر «العدد » ، لكى يلعن له بنى إسرائيل حين اشرف بهم موسى على بلاده بعد الخروج من مصر بمسنوات ، فلم يرض ان يلعنهم بل باركهم (٧٢) . فما علاقة رجل مثل هذا بفرعون والوزارة ؟ كما رأينا ان التلمود والمدراس يجعلان بلعام وايوب ويثرون أعضاء فى مجلس شورى فرعون (٧٣) . فاما بلعام ويثرون فقد عرفنا انهما لم يكن لهما علاقة بفرعون ولا بمصر حسب كلام العهد القديم نفسه . واسد من ذلك اعراقا فى الخطأ القول بأن ايوب ، الذى ذكره العهد القديم نفسه بعد ذلك بأزمان طوال ، كان عضوًا فى مجلس الشورى الفرعونى . اتى أن علماء اليهود وأمثالهم ممن يقيمهم اولئك المعترضون الذين ذكرهم الحاخام جعة على القرآن قد وقعوا فى مثل ما اتهم به هؤلاء القوم الكتاب المجيد بل فى اشد منه . فلماذا التسطح اذن والرعونة ؟

وقد رأينا كيف ان المدراس يقرن بين هامان وقارون (٧٤) ، مما يوحى بأنهما كانا معاصرين . وهذا يقترب بنا مما جاء فى القرآن اشد الاقتراب

وأخيرًا نقول لهؤلاء المعترضين إن العهد القديم ، الذين تحاكمون القرآن اليه ، قد تنبأ ، فيما تزعمون ، بأن العذراء ستلد لله ابنًا (هو المسيح كما قيل) وتدعوه « عمانوئيل » (٧٥) . فهل سُمي المسيح يومًا من قبل أي انسان بهذا الاسم ؟ انه لم يحدث قط ان دعته امه او غير أمه الا بـ « يسوع » (« عيسى » في العربية) . بل ان كاتب « إنجيل متى » يكذب ما جاء في « اشعياء » عن تسميته عليه السلام بـ « عمانوئيل » . اذ يقول ما نصه عن مريم وحملها بعيسى : « فستلد ابنًا وتدعو اسمه يسوع » (٧٦) . بل ان جبريل عليه السلام نفسه ، حينما جاء في لوقا (١ / ٣١) ، يبشرها بولادة عيسى قائلاً : « وهانت ستحبلين وتلدين ابنًا وتسمينه يسوع » . والطريف ان متى يعود فيقول عقب ما نقلناه عنه انفًا : « هذا كله لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا » ، غير واجد اي تناقض بين ما قاله أولا وما قاله لاحقا ، مما يدل على ان الذين وضعوا هذه الكتب لم يكونوا يتمتعون بالحس النقدي . ويعود فيؤكد انه مع ذلك لم يحدث في هذا الانجيل ولا في اي من الاناجيل الاخرى التي يقدسها

النصارى أن نادت مريم او احد غيرها عيسى عليه السلام في اى وقت بـ « عمانوئيل » وهل مازال المعترضون يصرون على تحفظهم للقرآن الكريم ؟

فهذا عن اسم « هامان » اما استبعاد المعترضين ان يكون فرعون قد فكر في بناء صرح للاطلاع الى اله موسى كما جاء في القرآن (٧٧) وقولهم إنه ان كان جاحداً بوجود الله فما معنى بناء صرح مادام الله غير موجود في اعتقاده ؟ فنرد انه لجهله كان يظن ان بعد السماء عن الارض لا يزيد عن ارتفاع صرح من الصروح ، وانه باستطاعته الوصول الى حيث وجود الله بصعوده في ذلك الصرح والتحقق بنفسه من ذلك وقد سمعنا في عصرنا هذا ، وفي عصر التقدم العلمي الجبار ، ما قاله جاجارين أول رائد فضاء روسي بعد رجوعه من رحلته في سفينة الفضاء من انه لم يجد الله في السماء، يريد ان يقول ان الالحاد ، الذي كان عقيدة بلاده في ذلك الوقت ، هو الدين الصحيح فلماذا نستغرب من فرعون ، في تلك الازمنة المتقدمة من التاريخ حيث لم يكن العلم قد قطع شيئا من هذه الخطوات الجبارة التي انجزها في عصرنا ، ان يفكر على هذا النحو ؟ وترى عند الله يوصف على ان فرعون انما كان يقصد السخرية بموسى والدين الذي

يدعو إليه (٧٨)

هذا إن كان فرعون جاحدًا ، أما ان كان مؤمنا مستيقنا فإن قول المعترضين انه كان ولا شك يعلم أنّ ليس فى طاقة بنى آدم ان يبنوا بنيانا يخرق السماوات السبع والاجزاء التى بينها حتى يحاذى عرش الله هو قول عجيب ، اذ من أين لفرعون ان يعرف أن ثمة سبع سماوات وان العرش فوقها ؟ إن حاخاميهم فى عصرنا لم يكن يعرف شيئا من ذلك ، والا لما قال قولته التى ذكرنا قبل قليل ، وليس فى العهد القديم ولا الجديد ما يدل على ان السماوات سبع انما ذلك فى القرآن الكريم ، وهو لم يكن قد نزل من السماء على عهد فرعون بطبيعة الحال واذا كان العهد القديم ، الذى يستند اليه اولئك المعترضون ، قد تكرر اظهاره لله على الارض تحت بصر هذا الشخص او تلك الجماعة ، فما وجه الغرابة فى أن يظن فرعون ، لو كان مؤمنا بالله للتنبيه ، ان باستطاعته رؤية الله اذا صعد الصرح واشرف على السماء ؟

ان موسى نفسه عليه السلام قد سأل ربه ، حسبما جاء فى العهد القديم ، قائلا « أرنى مجدك » ، فأجابه الله تعالى « لا تقدر ان ترى وجهى ، لان الانسان لا يرانى ويعيش » (٧٩) وقد

جاء في القرآن الكريم عن موسى قوله بناجي ربه « ربّ أرني أنظر اليك » ، فجاءته الرد الالهي « لن تراني ، ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا . فلما افاق قال : سبحانك ! تُبْتُ اليك ، وانا اول المؤمنين » (٨) ثم الا يقول النصارى إن الله قد تجسد في هيئة بشرية ونزل من عليائه واصبح يحل في هذا المكان او ذاك وتجلو منه بعض الاحكمة بل ويأكل ويشرب ويتغوط وينعول وينام ويتعب ويخاف ويسب ؟ وقد طلب المشركون من النبي على سبيل التحدي ان يروا ربهم فقالوا « لولا انزل عليه الملائكة او نرى ربنا » (٨١) فهل سيكذب اولئك المعترضون هذا كله ؟ اليس هذا في اقل القليل يشبه ما جاء في القرآن من قول فرعون انه يريد أن يَبْنِي له صرح لعله يبلغ الاسباب فيطلع الى اله موسى ، وان كان اتهمه عليه السلام مع ذلك بالكذب ؟

اما قول المعترضين ان فرعون ان كان كافرا فانه لم يكن محجوبا حتى يقول ما قال عن الصرح والاطلاع الى الله ، فانه يدل على عدم الفهم الصحيح للطبيعة البشرية ، وبخاصة نفسية الطغاة الجبارين ان كثيرا من هؤلاء ، قد ادعوا لانفسهم الالوهية ، وص لم يدع منهم ذلك

كان يتصرف كأنه اله لا يخطىء ولا يصح أن يعترض عليه معترض وكثيرا ما أورد هذا الصنف من الحكام بلاده وشعوبه موارد الهلاك والدمار فدخلوا في حروب لم يستعدوا لها فهُزموا هزائم مروّعة وافقروا أممهم وادلوها ادلالا لا يخطر على بال وعصرنا الحديث شاهد على عدد لاباس به من هؤلاء الجلادين فأين كانت عقول هؤلاء حينما اتوا هذه الافعال المعيبة ؟ وقد قرانا كيف ان بعض الصناط الذين يتولون تعذيب المساجين المتدينين في بلد مسلم كانوا يقولون لهم انهم قد حسموا الله في الزنزانة المجاورة ! يريدون ان يُفْهموهم ان احدا لا يستطيع ان يقدمه من ايديهم وليس امامهم الا الياس والاستسلام المطلق فهل من الغريب بعد ذلك ان يقول فرعون ما قال وهو الذي كان يزعم انه اله ؟

الهوامش

١- ... سبيل الجاحظ ، ٣ / ٣٤٠ - ٣٤٥

2- I. I Brill's First Encyclopaedia of Islam Vol III p 245

3- Encyclopaedia of Islam New Edition Vol III p 110

4- Thomas Patrick Hughes Dictionary of Islam p 160

٥- انظر د. عبدالحليم شلبي / رد مفتريات على الاسلام / ١٥٨

٦- د. أحمد شلبي / اليهودية / ٢٥٤

٧- عبدالحليم شلبي رد مفتريات على الاسلام ١٠٩

٨- السابق / ١٥٩ - ١٦٠

٩- ول ديورانت / قصة الحضارة ... ترجمة محمد بدران ٧٨ وقد سبب كلمة « موردكي » (التي وردت في النص هنا الى « موردخاي » (المذكورة في ترجمة العهد القديم)

١٠- تكوين / ٤٦ / ٨ - ١٦ و ١٩ وما بعدها وخروج / ١ / ٦ - ٦ / ١٤ - ٢٠ و ٧ / ٧

١١- خروج / ١٢ / ٤٠ - ٤١

١٢- ماع يوسف أخوته وهو ابن ١٧ سنة مرحل من مدين باعه بدورة لاحد المصريين (تكوين / ٣٧ / ٢) وجعله فحور على خزائن الارض وعمره ٣٠ سنة (تكوين / ٤١ / ٤٠) ويضاف الى ذلك سبع سنوات الخصب ، وسنوات من سبع سنوات الجدب (تكوين / ٤١ / ٤٧ و ٤٨ / ٥ - ١١)

١٣- ابن حزم / الفصل في الملل والاهواء ونحل / ١ / ٢٥٢ - ٢٥٣

١٤- تكوين / ٤٦ / ٢٦ - ٢٧ ... تم ذكر في موضع آخر (خروج / ١ / ١ - ٥) انهم سبعون

١٥- انظر ابن حزم / الفصل / ١ / ٢٤٢

١٦- تكوين / ٤٦ / ٣٤ - و ٤٧ / ٦ ، وخروج ٨ / ٢٢ ويذكر ابن حزم ، سماه على الترجمة التي كان ينقل منها انها فوص (الفصل / ١ / ٢٥١ ، ٢٥٢)

١٧- تكوين / ٤٧ / ١٩ - وخروج / ١٢ / ٣٧

١٨- تكوين / ٣٥ / ٢٢

١٩- خروج / ٢ / ٢ - ٤

٢٠- خروج / ٢ / ١٠

٢١- طه / ٣٨ - ٣٩ والقصص / ٧

٢٢- خروج / ٢ / ١٨

٢٣- خروج / ٣ / ١ وانظر تعدد نفس السفر / ٤ / ١٨ ، و ١٨ / ١ ٢ ٥ ٦ ٩ ١٠ ١٢

٢٤- عدد / ١٠ / ٢٩ ، وقضاة / ٤ / ١١

٢٥- خروج / ٣ / ٢٢ - ٢٥

٢٦- خروج / ٤ / ١٠ - ١٤

٢٧- الانعام / ٨٤ - ٨٩ ، ومريم / ٥٣ ، وطه / ٢٩ - ٣٢ ، والقصص / ٣٤

٢٨- خروج / ٤ / ١٦

٢٩- خروج / ٧ / ١

٣٠- خروج / ٣ / ١٨

٣١- خروج / ٥ / ١ وانظر تعدد نفس السفر / ٦ / ٢٦ - ٢٧

٣٢- خروج / ٦ / ٢٠

٣٣- خروج / ٧ / ٩

٣٤- خروج / ٧ / ١٤ - ٢١

٣٥- خروج / ٤ / ٩

٣٦- خروج / ٧

٣٧- خروج / ١ - ٤

٣٨- خروج / ٦ / ٢ وعدد / ٢٦ / ٥٩

٣٩- خروج / ٦٥ / ٥ ١٠

٤- محمد / ٩ / ٩ - ١٠

٤١- خروج / ٦٥ / ٥ ١٠

٤٢- طه / ٧٨

٤٣- يستحيل ول دمورانت من دلك قائلا إن إله اليهود (حتى) لا يسمح للناس أن يروا منه الا ظهره ! (قصة الحضارة / ترجمة محمد بدران / ٢ / ٣٤٠)

٤٤- خروج / ٣٣ / ١١

٤٥- خروج / ٢٤ / ٩ - ١١

٤٦- البقرة / ٥٥ والأحزاب / ١٤٣

٤٧- خروج ٣٢ / ١ - ٦ ٧٠ - ٢٤

٤٨- طه / ٨٣ - ٩٧ والاعراف / ١٤٨ - ١٥٢

٤٩- خروج / ٢ / ٣ - ٥ ، وتثنية / ٥ / ٧ - ٩

٥٠- خروج / ٣ - ٢٢

٥١- خروج / ٣٢ / ٢٧ - ٢٩

٥٢- خروج / ٣٢ / ٢١ - ٣٢ وعدد / ١٦ / ١ - ٧

53- S. A. A. Maududi , The Meaning of the Quran translated by

٥٤- خروج / ٣٠ / ٥ ، و ٣٤ / ٧ ، وتثنية / ٥ / ٩

٥٥- خروج / ٣٤ / ٧

٥٦- عدد / ١٢ / ١ - ١٠

٥٧- خروج / ٣٢ / ١١ - ١٤ ويعلق ول ديورانت على إسناد العهد القديم « الندم » إلى الله تعالى قائلا « كذلك لا يرى (الله) أنه معصوم من الخطأ ويرى أن اشتم ما وقع منه من الأخطاء هو خلق الانسان ولذلك نراه يندم بعد فوات الفرصة على خلق آدم وعلى ارتشائه أن يكون شاول ملكا » (قصة الحضارة / ترجمة محمد بدران / ٣ / ٣٤٠ .

٥٨- عدد / ٢٣ / ١٨ - ١٩

٥٩- انظر د عبدالحليم شلبي / رد مفتريات على الاسلام / ٢٥٨

٦٠ انظر محمد عزة دروزة / تاريخ بني اسرائيل من سفارهم / ٢٨١ ويقول محمد حميد الله في ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم إلى مثل هذا القول ان نسمه « هامان » يدكرنا « آمون » (Muhammad Hamidullah Le Saint Coran 1973 p 512)

٦١- انظر يوسف ابو سعدة / من إعجاز القرآن - نعلة الاعجمي في القرآن مفسر بالقرآن / ٢ / ٥٨ - ٦٠

٦٢- احبار الايام الثاني / الاصحاحات ٣٣ - ٣٤

٦٣- رسائل لجاحظ / ٣ / ٢١٧

٦٤- انظر د محمد رجلول سلام / الأدب في العصر المملوكي / ١ / ١٨٦ - ١٨٧

٦٥- انظر صابر طعيمة اليهود بين القديم والتاريخ ٢٤٦

٦٦- رؤيا يوحنا اللاهوتي [illegible]

٦٧- تكوين ١٦ / ١ - ٩

68 Maududi The Meaning of the Quran Vol IX p 74
69 Thomas Patrick Hughes Dictionary of Islam p 160

٧٠- عدد / ١٦ ١ - ٣٥

٧٩- القصص / ٧٦ - ٧٩

٧٢- عدد / الأصحاحات ٢٢ - ٢٤

73 - E J Brill's First Encyclopaedia of Islam Vol II p 295
74 - Ibid p 345

٧٥- اشعياء / ٧ / ١٠ و ٩ / ٦ - ٧ ومن المثير للدهشة ان العدد [illegible] محمد ولدت عيسى عليه السلام كما يقول له ان احد هو يوسف النجار ويماثل يجعله [illegible] من نسله (لوقا / ٣ / ٢٣) وكذلك عيسى في دفتر نسبه عليه السلام (متى ١ / ١ - ١٧) وهذا كله اضطراب وخبط شنيع دلالة على ذلك فيسى ولوقا [illegible] لهذان اوردا سلسلة نسب المسيح مختلفان حتى هذه السلسلة وعدد الاجيال التي تتصل بسه وبين جده داود فهل هي واحد وعشرون جيلا ام سبعة وعشرون جيلا فقط ؟ كذلك فهل يوسف النجار الذي يقول متى ولوقد انه من [illegible] من هالي ؟ ام هل هو من يعقوب ؟ وعن طريق اي من ابناء داود ينتسب المسيح إلى ذلك النبي عليهم السلام ؟ عن طريق سليمان ام عن طريق اخيه ناثن ؟ [illegible] الخ وبالمناسبة عن داود حسب روايه العهد القديم هو حفيد للوط سه تنهود من يعقوب عن طريق رمى الاول ومن الثاني نروحه ابنه تامار فاذا كان المسيح حفيدا لداود فماله من نسب - بتقدير بالذكر انه في الوقت الذي يجعل هذان الكاتبان المسيح عليه السلام . في سلسلة نسب النبي ذكراها اما ليوسف النجار ولا بنسبانه الى الله على اي نحو - يجعل لود يجعل هذه النبوة الالهية لآدم عليه السلام

٧٦- مريم / ١ / ٢٦

٧٧- القصص / ٣٨ ، وغافر / ٣٧

78 A. Yusuf Ali , The Holy Quran pp 1013 , 1273

٧٩- هود / ٣٣ / ١٨ ، ٣٠

٨- الأعراف / ١٤٣ كما ذكر القرآن الكريم أن بني إسرائيل قالوا لنبيهم « أرنا الله جهرة » فأخذتهم الصاعقة (البقرة / ٥٥ ، والنساء / ١٥٣) .

٨١- الفرقان / ٢١

٥- يحيى

كما شنّع النصارى على ما أخبر به القرآن الكريم من أن الله سبحانه قال لزكريا عند تبشيره بولادة يحيى : « يا زكريا ، إنا نبشّرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبلُ سميا » (١) ، موكدين انه كان هناك قبله اكثر من واحد اسمه « يحيى » ، مثل يوحنا بن فارح (٢) . وقد جاء في ترجمة اوفمبح اولمان الالمانية للقرآن ، تعليقا على هذه الآية ، انه كان قبل يحيى اشخاص عدة يحملون اسم « يوحنا » (٣) .

وهذا التشنيع يقوم على ان كلمة « سمي » تعني بالضرورة « من كان له نفس الاسم » ، اذ هم قد فهموا من الآية أن أحدا قبل الغلام الذي وهبه الله لزكريا لم يُسمَّ باسم « يحيى » . والحق ان هذا ليس الا أحد معاني الكلمة على ما ورد في معاجم اللغة وكتب التفسير (والمعاني الاخرى هي : « المفاخر » و « النظير » و « السامي ») . ويمكن لمن يريد التحقق مما نقول أن يرجع الى القواميس اللغوية . واضافه عدة منها وضعها مولفون نصارى يستطيع ان يطلع فيها مثل « محيط المحيط » للبستاني ، و « المنجد »

للبستوعيين ، و « الرائد » لحمزان مسعود

وقد فسر المفسرون « سميّا » في الآية الكريمة بما يفيد أن يحيى عليه السلام لا يساميه أو يشبهه أحد ، أو ان احدًا قبله لم يسمّ باسمه فمن الممكن جدا إذن ان يكون المعنى هو انه لم يحيى قبل يحيى اى نظير له وقد جاء في « متى » على لسان عيسى عليه السلام « الحق اقول لكم لم يقُمْ بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان » (٤) وهو تقريبا نفس تعابيره لوقا في انجيله على لسان عيسى ايضا « لأني أقول لكم انه بين المولودين من النساء ليس نبي اعظم من يوحنا المعمدان » (٥) فإن أرادوا ان ينكروا على القرآن قوله عن يحيى عليه السلام : « لم نجعل له من قبل سميا » فلينكروا ذلك ايضا على اناجيلهم وأنى لهم ذلك ؟ على ان القرآن يحلو من ناقض انجيل متى ، الذي يعد أن قال انه لم يجيء قبل يحيى عليه السلام من هو أفضل منه عاد فاضاف العبارة الآتية : « ولكن الاصغر في ملكوت السماوات افضل منه » ، وهو ما دفع ابن حزم الى التعليق قائلا « تاملوا هذا الفصل تروا مصيبة الدهر فيه وفرة عيون الاعداء وقولاً لا يمكن ان نقوله ولا ينطق به فمي يرضى فلاحه ولا أمه وكفاء الا ان تكون مدخولة العقل : اثبت انه لم

يولد في الأدميين اشرف من يحيى وإذا كان كما زعم ان الصغير في ملكوت السماء أكبر من يحيى فكل مؤمن يدخل ملكوت السماء ضرورة فهو افضل من يحيى فواضح من هذا ان كل مؤمن من بني آدم فهو افضل من يحيى ، وان يحيى أرذل واصغر من كل مؤمن فما هذا الهوس ؟ وما هذا الكذب ؟ وما هذه العبارة السمجة في الدين ؟ وكم هذا التناقض ؟ والله ما قال المسيح قط شيئا من هذه الرعونة ، وما قالها الا الكذاب مني وبطراوه ، عليهم اللعنة ! فلقد كانوا في غاية الوقاحة والاستخفاف بالدين » (٦)

ومع هذا فقد ورد في الانجيل المنسوب الى لوقا « واما اليصابات (زوجة زكريا) فتم زمانها لتلد فولدت ابنا وسمع جيرانها واقرباؤها أن الرب عظم رحمته لها ففرحوا معها وفي اليوم التالي جاءوا ليختنوا الصبي وسموه باسم ابيه زكريا فاجابت امه وقالت لا بل يُسمى يوحنا فقالوا لها ليس أحد في عشيرتك تسمى بهذا الاسم ثم اومأوا الى أبيه ماذا يريد ان يُسمى فطلب لوحا وكتب قائلا اسمه يوحنا فتعجب الجميع » (٧)

ويمكن أيضا ان تفسر الآية القرآنية بهذا المعنى ولكن قد يقال إن القرآن قد اطلق القول حين اخبر ان احدا قبل يحيى لم يسم

باسمه ، على حين أن لوقا قد حصر ذلك في عشيرة المعمدانية . الا ان من العسير جدا ان يكون ذلك هو قصد القرآن أيضا ، فقد جاءت هذه البشرى اثر ابتهال زكريا لربه قائلاً : « رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ، ولم اكن بدعائك ربّ شقيا * واني خفتُ الموالى من ورائى ، وكانت امرأتى عاقرا ، فهب لى لدنك وليا * يرثنى ويرث من آل يعقوب ، واجعله ربّ رضيا » (٨) . ووواضح أن الكلام يدور حول عشيرة زكريا ، وهي نفسها عشيرة زوجته ، فمن الممكن ان يكون المعنى : « لم نجعل له من قبل (بين عشيرتك) سميا » وهذا ان صح أن احدا قبل يحيى خارج عشيرته قد سمى باسمه (٩) لقد اشار المفترضون الذين اورد الحاطب كلامهم الى انه كان يوجد قبله عليه السلام من اسمه يحيى ، ثم مثلوا بـ « يوحنا بن فاخر »

ولنا على ذلك عدة ملاحظات . اولا ان القرآن قال انه لم يكن هناك قبله عليه السلام من اسمه « يحيى » اما اولئك المفترضون فقد ذكروا « يوحنا (بن فاخر) » فهل قصد القرآن « يوحنا » او « يحيى » ؟ اذا وقفنا عند ظاهر النص على الاقل فالقرآن قد قال « يحيى » ولم يقل « يوحنا » و « يحيى » مشتق من الحياة او

العبراء ، أما « يوحنا » فيقولون إنه يعنى فى العبرية « كان يهوه كريما » (١٠) ، وهذا غير ذاك ثانيا : الشخص الذى ذكره المعترضون لم يكن اسمه « يوحنا (من قارح) » بل « يوحانان » (١١) قد يقال إن « يوحنا » هو اختصار لـ « يوحانان » (١٢) لكننا ، إن تعاميا عن الفرق بين « يحيى » و « يوحنا » وقلنا ان القرآن قد قصد « يوحنا » ، نستطيع ان نرد بان المقصود هو ان احدا قبله عليه السلام لم يتسم بهذه الصيغة الاختصارية لا بالصيغة الكاملة ، وذلك كما نقول إن احدا قبل هذا الطفل لم يتسم بـ « بليل » ، فلا يجوز ان يعترض معترض بان كثيرين من قبله قد تسموا بـ « نبيل » ، لانه وان كانت « بليل » هى صيغة التدليل لـ « نبيل » فانها مع ذلك ليست اياه ، ولكن قد يقال ان اسم « يوحنا » (بهذه الصيغه الاختصارية) قد ورد فى سلسلة نسب المسيح حسبما اوردها لوقا (٣ / ٢٣ - ٣٨) ، الا اننا يمكن ان نكون على ذكر من ان المسيح ، فى هذه السلسلة وكذلك فى السلسلة التى اوردها متى (١ / ١ - ١٧) ، هو ابن يوسف النجار (١٣) وهذا كذب صراح ، ولا يقبله لا النصارى ولا المسلمون ولا اليهود ، فاما المسلمون فلانهم يؤمنون انه عليه السلام قد ولد دون

اب ، وأما النصارى (اقصد جمهورهم ، وهم المثلثون) فهم يزعمون انه ابن الله ، بينما يقول اليهود ان مريم قد حملت به سفاحا من احد جنود الرومان على ما هو معروف (١٤) كذلك فان يوحنا هذا لم يرد له ذكر في السلسلة التي ساقها متى وفضلا عن ذلك فان في احد الاناجيل التي ترفضها الكنيسة أن مريم لم تكن محظوية ليوسف النجار ولا لغيره ، وانما كانت معكفة في المعبد لعبادة الله (١٥) ، مما يتفق مع ما جاء في القرآن من ان امها حين حملت بها قالت « رب ، اني نذرتُ لك ما في بطني محرّرا فتقبّلْ مني ، انك انت السميع العليم » ، وان مريم بعد أن شبت كانت تلازم المحراب حيث كان زكريا كلما دخل عليها وجد لديها ورقا من عند الله (١٦) ، ومن ثم فلا معنى للربط بين المسيح عليه السلام ويوسف النجار على اي وجه من الوجوه ، اي ان السلسلة المذكورة في « متى » و « لوقا » لا تبعث ابدا على الاطمئنان ، فكيف بشق اذن بانه كان بين اباء يوسف النجار من اسمه يوحنا ، وبخاصة ان يوحنا هذا (كما اوضحنا قبيل قليل) لا وجود له في سلسلة متى ؟

ثالثا : أنه حتى لو ثبت فعلا أنه قبل يحيى عليه السلام كان هناك من اسمه يوحنا ، فيمكن القول ان المراد أن أحدا من الانبياء

السابقين عليه لم يتسمّ باسمه (١٧) ، على أساس أن يحيى لم يكن شخصا عاديا ، بل كان نبيا

ورابعا : من الممكن جدا أن يكون المقصود أن أحدا قبله عليه السلام ممن كان اسمه « يوحنا » (أو حتى « يوحانان ») لم يتعرض اسمه إلى « يحيى » ، انما كان يحيى عليه السلام هو أول من حدث لاسمه ذلك

وهذا كله على أساس ان « يوحنا » الذي سُمّي به ذلك النبي الكريم هو « يوحنا » الذي يتسمى به غيره . بعد أن أحد الباحثين العارفين بالعبرية والمطلعين على ترجمات الكتاب المقدس بهذه اللغة وغيرها يقرر أن يحيى عليه السلام لم يكن اسمه « يوحنا » (بالالف) بل « يوحنّى » (بالامالة) ، وأن هذا الاخير مكون من كلمتين : « يو » (أي الله) و « حنّى » (بمعنى « أحصر ») ، ومعناه « الله أحصر » ، وهو ما أشار اليه القرآن الكريم حين وصف النبي يحيى بأنه كان « حصورا » ، والمقصود بذلك أنه كان يكف نفسه عن شهوة النساء مع وجود القدرة . وهو من ثم يرى أن « يحيى » مشتق من الحياء (أي أنه كان يستحي من التطلع الى النساء) كما يؤكد ان كتبة الاناجيل عندما

اثنتوا « يوحنا » بالالف انما كانوا يجتهدون ، ولكنهم اخطأوا في اجتهادهم (١٨)

ومن هذا كله نرى انه لا معنى لاعتراض النصارى على الآية وتكون الآية قد صيغت بهذه الطريقة الفذة لتعني الامرين جميعا : ان يحيى لم يكن له من قبل نظير ، وانه لم يتسم احد باسمه (اما باطلاق ، واما من عشيرته ، واما من أمثاله من الأنبياء ، واما ان احدا من السابقين عليه ممن كان اسمهم « يوحنا » لم يتحور اسمه في العربية الى « يحيى ») .

ويسعني ألا يفوتنا أن هذه الاية قد قُرنت ، ضمن صدر سورة « مريم » ، على النحاشي وبطارقته عندما سأل ملك الحبشة ، رحمه الله ، الصحابة الذين فروا الى بلاده من اضطهاد قريش عما يقوله القرآن في حق عيسى عليه السلام ، ولم تكن الاية محل دهشة او استغراب من ايهم (١٩) ، ودعما من ملايين النصارى الذين اسلموا بعد ذلك ولا يزالون .

الهوامش

١- مريم ٧

٢- انظر : رسائل الجاحظ « ٣ / ٣٠٥ والملاحظ انه لا يوجد للجاحظ رد على هذه الاعتراض في الرسالة التي بين ايدينا

3- Ludwig Ullman Der Koran - Das heilige Buch des Islam . S 245 . n 4

٤- مريم ١١ / ١٦

٥- لوقا ٧ ٢٨

٦- ابن حزم الفصل في الملل والاهواء والنحل / ٢ / ٦٩

٧- نوح ١ / ٥٧ - ٦٣

٨- مريم ٤ - ٦

٩- يرى صلاح العمساوي ان الاشارة في إنجيل لوقا إلى أن احدا في عشيرة المعمدان لم يسمه من قبل بسمه « يحيى » إنما هي منقولة من القرآن الكريم وبحسبه لم ترد في الاناجيل الاخرى (انظر كتابه « جوهر الاسلام في صحيح الاديان - هل الكتاب ، ٢ ٣٩ - ٤٩ لكنه لم يبين لنا كيف حدث هذا النقل ولا مبرر له ان هذه السنة المتصلة الوحيدة التي ينفرد بايرادها احد الاناجيل دون غيره كذلك فقد تكون هذه الاشارة موجودة في واحد او اكثر من الاناجيل التي حاولتها الكنيسة وضربتها ، جميعا

10 Basil Cottle . The Penguin Dictionary of Surnames art John and Abdullah Yusuf Ali The Holy Quran 768 . n 2461

١١- ورد ذكر هذا الرجل في الاسفار الاول / ٢٢ / ١٢ والملوك الثاني / ٢٣ وارميا ٤ / ٨ ، و ٤١ / ٢٢ و ٤٢ ٦ واسمه كما ورد عند

الحاطط هو توحنا بن فرح وواضح انها تصحيف

12 The Oxford English Dictionary art John

١٣- في تعليق محققي كتاب « الفصل » على قول ابن حزم « مبي الكذاب يسمت المسيح إلى يوسف النجار » (٢ / ٣٣) نراهما يقولان « راجع إنجيل متى / الاصحاح الاول (عدد ١٨) اما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا لما كانت مريم امه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من روح القدس فيوسف رجلها اذ كان بارا ولم يشأ ان يشهرها اراد تخليتها سرا ولكن فيما هو متفكر في هذه الامور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا يا يوسف بن داود لا تخف ان تأخذ مريم امرأتك لان الذي حبل به فيها هو من الروح القدس الخ » (انجيل متى ١ : ١٨ - ٢٤) وهذا مخالف ما ورد ابن حزم (يقصد ان قوله إن متى قد نسب المسيح عليه السلام الى يوسف النجار) فالفعل الانجيل قد تعرض لتغيير وتبديل آخر » (الفصل / ٢ / ٣٣ هـ ١) والحقيقة انه لا خلاف بين ما قاله ابن حزم وبين ما جاء في متى الذي ورد في اول إنجيله سلسلة نسب المسيح (وفيها انه عليه السلام ابن يوسف (انظر سلسلة النسب المذكورة في اول « متى ») وقد ورد ذكر ابن حزم وتعليق عليها في كتابه (٢ / ٢٧ - ٢٩) ٣٣) أما قول متى عقب ذلك « مريم قد حبلت بعيسى من الروح القدس فهو يكذب سلسلة النسب المشار إليها (أي ان متى ساقض نفسه ويكذب نفسه نفسه) وهي اسطر معدودات ولكن هذه مسألة اخرى وبالمناسبة فقد جاء ذكر الروح القدس في العشرة الأولى في النص المنقول عن متى هكذا « روح القدس » وهو نفسه « الروح القدس » « روح القدس » بدون « ال » فهو اسمه عند المسلمين

٦٤- انظر ول ديورانت / قصة الحضارة / ترجمة محمد بدران / ٩١ ٢٦٤

وابن كثير / البداية والنهاية / ١ / ٦٨ ٧٠ ٧٣

١٥- الانجيل المشار إليه هو انجيل متى غير المعتمد عند الصابئة - وهو غير انجيل متى المقبول عندهم والموجود في العهد الجديد انظر د على عبدالرحيم وافى / الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام / ٩٤ - ٩٥

١٦- آل عمران / ٣٥ - ٣٦

١٧- وقد اشار إلى هذا المرحوم عبد الله يوسف على اثناء في ترجمته للقرآن إلى الانجليزية (ص ٧٦٨ / هـ ٢٤٦٩)

١٨- انظر رءوف ابو سعدة / من إعجاز القرآن - العلم الأعجمي في القرآن مصورا بالقرآن / ٢ / ٢٣٤ - ٢٣٨

١٩- انظر سيرة ابن هشام / ١ / ٣٢٦ - ٣٢٧

٦- سورة النساء

وذكر الخاطب ايضا ان مما اعترضت به النصارى على القرآن قوله ان الله يخاطب النبي قائلا : « وما ارسلنا من قبلك الا رجالاً نوحي اليهم . فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » (١) ، بما يفيد ان الانبياء لا يكونون نساء ، على حين أن اهل الذكر (أي اهل الكتاب) الذين امر الله العرب أن يسألوهم في هذه المسألة ، يقولون إن الله قد بعث من النساء نبيات ، مثل مريم امة عمران وحنة وسارة ورفقة (٢)

والواقع ان معنى الكلام في الآية هو انه لم يحدث ان ارسل الله للناس رسولا الا وكان بشرا مثلهم ، فلم يحدث أن أرسل ملكًا . ذلك ان الكفار كانوا يتعجبون ويتظاهرون بالدهشة من ان الله قد بعث اليهم محمدا وهو بشر يأكل الطعام ويمشي في الاسواق (٣) ، وكانوا يقولون « ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ؟ » (٤) ، كما طلبوا منه مرارا ان ينزل عليه او معه ملك (٥) وقد كانت تلك هي تعللات كفار الامم السابقة التي يتعللون بها ضد الانبياء المرسلين اليهم ، كما هو واضح من الآيات القرآنية المتعددة (٦) . لكن اعتراض كفار قريش اذن على انه سبحانه قد ارسل رجلا ولم يرسل امرأة ، وانه كان

اعتراضهم على بشرية الرسول ، فكان رد القرآن في الآية التي استشهد بها المعترضون من النصارى هو ان الرسل الذين أُرسلوا قبلك يا رسول الله كانوا مثلك رجالا ، أي يجري عليهم ما يجري على البشر ، فهم يأكلون ويموتون (٧)

ومع ذلك فقد يجيب هؤلاء المعترضون من النصارى وامثالهم بان القرآن كان يستطيع ان يقول مثلاً « وما ارسلنا قبلك الا بشرًا نوحي اليهم » بدلا من كلمة « رجال » ، التي تدل على ان الرسل كانوا دائما بشرا ذكورًا لا بشرا فقط لكن فات هؤلاء ان « الرجال » ليسوا بالضرورة هم الذكور من الناس فقط بل يشملون النساء ايضا ذلك ان المرأة تسمى « رجلة » (مؤنث « رجل ») اي انه مثلما نقول « امرؤ » و « امرأة » نقول : « رجل » و « رجلة » (٨) ، فكلمة « الرجال » اذن هنا معناها « البشر » هنا على أساس ان الله قد ارسل فعلا رسلا من النساء ، وهو ما سوف سنقفه بعد قليل

ليس في وصف القرآن للرسل انهم « رجال » ما يوجد عنده انما الشناعة في ان يوصف الله سبحانه في العهد القديم بانه « انسان » (٩) ، وان نضال من جريل عليه السلام « الرجل

جبريل » (١) .

ثم إن « اهل الذكر » المذكورين فى القرآن هم اهل التوراة والإنجيل اللذين نزلا من السماء على موسى وعيسى ، لا الكتب المسمّاة بالعهد القديم والعهد الجديد ، وهى الكتب التى أُلّفت تأليفا وتجمّع بين ما نزل من السماء ، مما حُفظ عن موسى وعيسى عليهما السلام وبين ما أوحت به لمؤلفيها الشياطين . وأهل الذكر هؤلاء ، هم الذين دخل منهم الكثيرون فى الاسلام ولا يزالون يدخلون . وقد بين القرآن فى عدة مواضع منه ان اهل الكتاب قد زوّروا كتبهم وكتبوا أشياء من عند أنفسهم وقالوا انها من عند الله ، فكان ينبغى على أولئك المعترضين أن يعوا هذا وان يعرفوا انه سبحانه وتعالى لا يمكن أبدًا ان يقصد بـ « اهل الذكر » هؤلاء الذين يؤمنون بتلك الكتب المزورة

ومع ذلك فلنتظر فى هذه الكتب لنرى ماذا تقول . فاما بالنسبة لسارة ، وهى أقدم النساء التى اشار اليهما المعترضون ، فان سفر « التكوين » ، وهو السفر الذى توجد فيه قصتها هى وابراهيم وذريتهما ، لا يذكر ابدا انها نبية او رسولة ، ولا يشير الى ذلك أدنى إشارة لا من قريب او بعيد . وكذلك الحال بالنسبة لرفقة زوجة

اسمها إسحاق .

ومن يقرأ قصة ابراهيم واسحاق وزوجتيهما حسبما جاءت في سفر « التكوين » يستغرب أشد الاستغراب من جرأة أولئك الذين يريدون ان يجعلوه هو وامثاله من أسفار الكتاب المقدس محكًا للقرآن الكريم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وهذه بعض الملاحظات السريعة على تلك القصة ، وهي كفيلة بان يفقد القارىء الثقة بالسفر كله وبالكتاب المقدس اجمع .

من هذه الملاحظات ان الله قد ظهر لابراهيم واسه اسحاق عليهما السلام عدة مرات وعاشا بعدها لم يحدث لهما شيء (١١) ، مع ان العهد القديم ، كما رأينا فيما سبق ، يقول إنه ما من احد يرى الله ثم يعيش بعدها . وذلك كله بعض البصر عن ان الله سبحانه لا تمكن رؤيته في الدنيا .

ويحتري. مؤلف السفر على الذات العلية فيقول ان الله سبحانه حينما سمع شدة صراخ سدوم وعمورة بسبب كثرة خطاياهم قال : « ان صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جدا . أنزل وارى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتي الي . والا فأعلم » (١٢) . وكأن الله عز وجل لا يستطيع ان يتأكد من وقوع اي امر الا بعد ان يذهب

بنفسه ويشاهد بعينه ؟ فما الذى يبقى من الألوهية بعد هذا ؟ وما الفرق بينه وبيننا نحن البشر ؟

ويفعر الإنسان فاه دهشة مما يسبه كاتب السفر إلى إبراهيم عليه السلام ، وهو النبى الكريم ، اذ يقول عنه إنه لما ذهب إلى مصر أوصى امرأته أن تنكر أنها زوجته ، حتى إذا حلتّ فى عين فرعون أحدها دون ان يفكر فى قتله (١٣) وهى فعلة لا يأتيها الا دَيُّوث ، وحاشا لانبياء الله المصطفين أن يفكروا فيها بله ان يقدموا عليها ولم يحدث هذا مرة بل مرتين ، وكانت المرة الثانية مع أبيمالك ملك جرار (١٤) . ليس هذا فحسب ، فان ابنه اسحاق عليه السلام ، على حسب ما جاء فى هذا السفر ايضا ، قد كرّر ما صنعه أبوه من قبل ومع ابيمالك نفسه ايضًا (١٥) فكان الدَيّاثة مما ورثه عن أبيه على حسب ما كتب القوم . استغفر الله !

ويقول كاتب السفر ان الله قد امر إبراهيم قائلاً « خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق واذهب إلى ارض المَرِيّا واصعده هناك مُحرّقة على احد الجبال الذى اقول لك » (١٦) ، زعم ان إبراهيم كان له آنذاك ولدان : اسماعيل واسحاق ، بل انه وُلِد باسماعيل قبل اسحاق بسنوات ، اى ان اسحاق لم يكن وحيد ابيه يوما من الأيام فهذه

كلمة شعاء ، ويزيدها شناعة ان تُنسب إلى الله سبحانه .

والعجيب أن إبراهيم ، حينما يأمره الله بذلك ، لا يعد في الامر ما يدعو إلى الاستغراب ، برغم أن الله كان قد بشّره بانه سيكون له من إسحاق هذا نسل (١٧) ، ولم يكن اسحاق حين أُمر إبراهيم بذبحه الا صبيا صغيرا لم يتزوج بعد . وكان يسعى ان يسأل ابراهيم نفسه كيف يأمرني الله بذبح ابني قبل ان يتزوج وتكون لي منه ذرية حسبما بشرني ؟

ويضاعف كاتب السفر في تصوير لتسمية « بئر سبع » بهذا الاسم فمرّةً يقول ان إبراهيم كان قد اعطى ابيمالك سبع نعاج لكي تكون له شهادة بانه حفر تلك البئر (١٨) ، ثم يعود بعد عدة صفحات فيقدم تفسيرا اخر مخالفا لهذا كل المخالفة ، اذ قال إن عبيد اسحاق (بعد ان كان إبراهيم عليه السلام قد انتقل الى حوار ربه برهن طويل) جاءوا واخبروه عن بئر حفروها ووجدوا فيها ماءً ، فسمّى هذه البئر « شبْعة » ، ولذلك سميت المدينة باسم « بئر سبع » (١٩) ، اي على اسم البئر المذكورة .

وفي هذا السفر ايضًا ان يعقوب (بن اسحاق وزوجة) يشترط على الله لكي ينوهن به ان يحميه من مخاطب الطريق ويعيده الى بيته

سالما وبرقه المطعم والملبس (٢) . فانظر إلى هذا الانسان المسروق ! ويزيد الأمر عجبا أن يُنسب ذلك إلى سبى ابن سبى !

وفيه ايضا ان الله قد تجلى له فى الطريق فاشتبكا معا فى صراع طويل ومرير حتى طلوع الفجر وأن يعقوب قد امسك به سبحانه امساكة لم يستطع ان يتخلص منها الا بعد ان جمع كل قوته وضربه على حُق فخذه بعزم الياس الذى لم يكن يصدق بالنجاة من عزيمه (٢١)

ثم كيف تكون سيةً من تحقد على ابن ضرتها كل ذلك الحقد الذى دفع سارة الى ان تطلب من ابراهيم ان يطرد هاجر وابنها اسماعيل ويحرمه من الميراث ويجعله كله لابنها اسحاق ظلما وعدوانا ؟ وقد كان لها ما ارادت (٢٢)

ام كيف تكون سيةً من ترسم ، كما رسمت رفقة ، لاحد ابنيها خطة كذب وغدر وسفالة ليسرق لنفسه البركة التى كان اعد سبيعطيها لأخيه الأكبر فتتسبب فى حقد متاجج بين ولدتى كبدها لا يخمد مع الايام ؟ (٢٣) ان هذه ليست اخلاق الانبياء حتى لو كن من الجنس اللطيف ! ثم انه لم يكن هناك اى سبب من شأنه ان يدفع بتلك « البنية » المغلوبة ان تصنع ما صنعت . بل الامر كله لا يعدو ان

يكون ثروة سحيقة حمقاء، لا يمكن أن تقع فيها أيّ أم عندها مسكة من عقل فضلاً عن نبيّة !

فهذا من السهو المرعوم لسارة ورفقة وباقي إلى مريم بنت عمران ولست أظن أن المقصود أم المسيح عليه السلام ، فالنصارى لا يسمونها مريم بنت عمران ، بل يعترضون على القرآن لذلك ، قائلين إنه يخلط بينها وبين مريم أخت موسى وهارون ، وأن اسم أبيها هو يواقيم ، فضلاً عن أنهم ، فيما نعرف ، لا يقولون نسبة مريم أم عيسى . أما المقصود مريم أخت موسى وهارون عليهما السلام ، فأبوها هو عمرام (« عمران » في اللغة العربية) على ما مرّ بيانه وقد وردت إشارة إلى نبوة مريم هذه في سفر « الخروج » من العهد القديم ، إذ جاء فيه النص التالي في سياق حكايته لغرق فرعون وجنوده في اليم ونجاة بني إسرائيل : « فأخذت مريمُ النبية أخت هارون الدفّ بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص واجابتهم مريم : رنّموا للرب فانه قد تعظم الفرسُ وراكبه طرحهما في البحر » (٢٤) وحده ، فيما أعرف ، هي الإشارة الوحيدة إلى نبوتها في العهد القديم

وأما لغرس جد مريم لا يذكر لتلك النبية المدعاة عمل

إلا الدق على الدف لضبط الإيقاع للراقصات ! ترى أهذه سيئة أم « عالمة » رفاقة ؟ وأين يا تُرى نحن ؟ أفي ملهى ليلي أم في حضرة أنبياء ؟ ان مكان هذه المرأة المناسب هو ثلاثية نجيب محفوظ لا كتاب يقول اتباعه انه مقدس وموحى به من السماء !

ثم نلتقي مع مريم هذه ثانيةً في سفر « العدد » وليس الموقف الذي سنقابلها فيه أفضل كثيرا من سابقه وإذا كانت في الموقف الماضي تمسك بالدف لتوقع عليه لمجموعة الراقصات فانها هنا تغتاب اخاها موسى وتحقد عليه « وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها لأنه قد اتخذ امرأة كوشية فقالا هل كلّم الرب موسى وحده ألم يكلمنا نحن ايضا فسمع الرب واما الرجل موسى فكان حليما جدا اكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض » وقد غضب الله عليهما لذلك ، وان كان قد عاقبها وحدها (ولا ندري السبب في هذا) وضربها بالبرص ! (٢٥) وتتساءل مرة أخرى ايمكن أن تكون مثل هذه المرأة سيئة ؟ لقد ضُربت السود هزالاً فنيحا اذن حتى سامها كل مفلس ! وأحب أن يعرف القارىء انه لم يحدث أن كلم الله هارون وفوق ذلك فهارون ليس نبيا من انبياء الله في العهد القديم انما هو نبي

لموسى (٢٦) . وموسى هو الذى كان يصدر اليه الأوامر بوصف الها له . وقد مرّت الإشارة إلى ذلك كما لم يُذكر فى أى موضع من العهد القديم ان الله قد كلم مريم ، على عكس ما يقول كاتب سفر « العدد » فى النص الذى سر آنفا ولم يرد البتة فى العهد القديم ان مريم هذه قد تكلمت عن ربها لأحد قبلنا ثم ان الله سبحانه لا يعاقب انبياءه ، بله يصيبهم بالبرص .

وتبقى حنّة وهى حنة بنت فنوئيل ، التى يقول عنها لوقا فى انجيله : « وكانت نبية حنّة بنت فنوئيل من سبط أشير وهى متقدمة فى أيام كثيرة قد عاشت مع زوج سبع سنين بعد بكوريتها وهى أرملة نحو اربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلا ونهارا » (٢٧) وكما ترى فليس فى النص (ولا فى اى مكان آخر من لوقا او غيره من الاناجيل) كيف أصبحت هذه المرأة نبية انما هو مجرد ادعاء ليس غير بل ان النص نفسه ليكذب هذا الادعاء ، اذ فيه أنها لم تكن تفارق الهيكل وان كل ما كانت تفعله هو الصوم والصلاة ، فاين ومتى وكيف كانت تماوس هذه النبوة المزعومة ؟ ان القرآن يقول « وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم » ، مما يفيد ان المسألة ليست مجرد ادعاء او وحى

هى رسالة يرسل الله بها رجالاً إلى اقوامهم ، فليدلنا من يكذّبون القرآن على امرأة (امرأة واحدة) قد أرسلها الله إلى قومها

واذا كانت الكهانة فى الشريعة اليهودية ، كما هو معروف ، مقصورة على الذكور وحدهم من بنى لاوى ، فكيف يمكن أن يكون باب النبوة مفتوحا على مصراعيه للرجال وللنساء على السواء رغم أن النبوة أهم وأخطر من الكهانة بمراحل ؟ بل إنه حينما اختار موسى سبعين من كبار قومه ليذهبوا معه إلى خيمة الاجتماع حيث يقفون هناك ويُنزّل الله ويتكلم معهم ويأخذ من الروح الذى على موسى ويضع عليهم حتى يحملوا معه ثقل الشعب ولا ينفرد هو وحده بهذا العبء كان أولئك السبعون كلهم رجالا بحسب الأمر الالهى كما جاء فى سفر « العدد » . وقد حدث حين نزل الله سبحانه فى سحابة وتكلم معهم وأخذ من الروح الذى على موسى ووضع عليهم أن « تنبأوا » جميعًا ، حسبما جاء فى السفر المذكور (٢٨)

وفى الحقيقة فانه يصعب علينا تمامًا أن نتصور امرأة مرسلة لهداية الناس وقيادتهم . ان المرأة بطبيعتها ضعيفة المَنَة ، وتتعرض للحيض والحمل والولادة والنفاس وتخضع لزوجها وبخاصة فى بلاد الشرق حيث ظهرت اولئك النبيات فى زعم المعترضين ، فكيف يمكنها

أن تقوم بوظيفة الرسالة بجلالها وقدسيتها وتبعاتها الثقال التي لا يقدر عليها الا الافذاذ اولو العزم من الرجال ؟ أليس مضحكا ان تتحيل سيدة حاملا أو حاملا قد برز بطنها للأمام فهي تتآود وتضع يديها على حصرتيها وتتثاقل ، أو وهي تصح وليدها وصراخها يملأ عنان السماء ، ؟ وماذا تفعل إذا أُمرت أن تطّلع للناس وحيا مما ينزل عليها فاعترض روحها وبهاها عن الخروج من البيت مهددا إياها بالطلاق ؟ انني هنا لا اتهكم ، فإن الشريعة اليهودية مثلا تشترط موافقة الاب على نذر ابنته ، والزوج على نذر زوجته ، وإلا فلا نذر عليهما (٢٩) .

وان من يعرف احكام الشريعة اليهودية الخاصة بالمرأة عند ولادتها وحيضها ليستغرب اشد الاستغراب مما جاء في الكتاب المقدس عن وجود نساء نبيات . إن الطمث عند اليهود يمتد سبعة ايام . وكل من تمس المرأة في هذه الأثناء يظل نجسا الى المساء ، وكذلك كل ما تضطجع او تجلس عليه . بل إنه اذا مسّ أحد فراشها فانه يكون أيضا نجسا حتى المساء ، وعليه ان يغسل ثيابه ويستحم . ويسري هذا الحكم ايضا حتى لو لم يكن الدم الذي يسيل من المرأة دم حيض . وعندما تطهر المرأة من دمها فانها تنتظر سبعة ايام أخرى قبل ان تطهر ، وفي اليوم الثامن تأخذ ذبيحة خطيئة وذبيحة مُحْرَقة وتذهب

بهما إلى باب خيمة الاجتماع حيث تبقى هناك ولا تدخل ، فتسلمهما للكاهن ليكفر بهما عنها من سيل نجاستها كذلك فإن الاتصال الجنسي بين الرجل والمرأة ينجسهما إلى المساء . أما الولادة فانها تنجّس المرأة اسبوعًا إن كان المولود ذكرا ولا تمس جسد شيئا مقدسًا ثلاثة وثلاثين يومًا ، وأما إن كان المولود أنثى فتنجّس الأم لمدة أسبوعين ولا تمس شيئا مقدسًا ستة وستين يوما (٣)

إن النجاسة في الكتاب المقدس تبدو في كثير من الأحيان وقد خلت من مضمونها الذي نعرفه . فنوح مثلا يسكر حتى يفقد وعيه ويبطرح على الأرض وتتعرى سوأته أمام كل من هب ودب ، وإبراهيم يتناول عن امرأته مرتين لفرعون وأبيمالك ، ولولا تدخل السماء في اللحظة الاخيرة لاضطجع معها ذلك العاهلان . ومريم تضرب بالدف للراقصات وتحقد على اخيها وتعتاسه ، ويضربها الله بالبرص . وتناول داود عندما يتنبا يخلع ثيابه ويطرح عريانا نهاره كله وليله امام الناس (٣١)

والانبياء يظهرون في نفس الوقت وفي نفس الموضع جماعات جماعات ، وقد يتناولون على أنغام الرباب والدف والناي والعود (٣٢) ، حتى ليقول العقاد بحق إن شأن الاكثرين منهم لا يزيد على شأن

الدراويش والمعاديد الذين يباركون الاطفال ، ويشفون المرضى ، ويتفوهون بالأقاويل التى تقبل التأويل على كل وجه حسبما يرتاح اليه السامع ، ويعيشون على الفضلات التى يلقيها اليهم الناس (٣٣)

ولا يعبر كتاب العهد القديم بين الانبياء الصادقين والأنبياء الكذبة ، فكلهم عندهم انبياء (٣٤) أما فى الاسلام فالنبى شىء ، والمتنبىء شىء آخر

نخلص مما مرّ إلى انه لا يحق للمعترضين أن يكذّبوا ما جاء فى القرآن من قوله تعالى « وما ارسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى اليهم » فقد بيّنا ان « رجالاً » فى الآية تعنى « بشراً » ، وهو ما لا يمكن ان يعارضه احد ، اذ ليس فى تاريخ النبوات أن الانبياء كانوا فى يوم من الأيام ملائكة ثم إننا لم نكتف بهذا ، بل أوضحنا ان اللّه لا يمكن أن يكون قد « أرسل » رسلا من النساء وليس فى العهد القديم نبيات مرسلات اما إن كان المقصود مجرد الالهام أو الوحى لبعض النسوة بتطمين أو بشارة ، كما هو الحال مع أم موسى وأم عيسى عليهم جميعًا السلام ، فذلك شىء آخر لم تنفه الآية ، بل تحدث القرآن عنه

وعلى هذا فإن كلمة « رجالاً » فى الآية التى نحن

بصددها) تدل في نفس الوقت على أن الانبياء الذين « أرسلهم » الله لهداية العباد وقيادتهم كانوا بشرا ، وكانوا رجالاً لا نساء . وهذا من أسلوب القرآن الفذ ، إذ إنه بكلمة واحدة قد اصاب المعنيين جميعا .

الهوامش

١- سحر ٤٣ ، والأنبياء / ٧

٢- رسائل الجاحظ / ٣ / ٥ ، ٣٠٦ - ٣٠٦

٣- الفرقان / ٧ ٢ مثلا

٤- الأنبياء / ٣

٥- الأنعام / ٨ ، وهود / ١٢ ، والإسراء / ٩٤ ، والفرقان / ٧ ، ٢١ ، وزخرف / ٥٣

١- مثلا هود / ٢٧ ، وإبراهيم / ١٠ ، ويس / ١٥ ، ٢٠ ، ٢٣ ، والشعراء ١٥٠ ، ١٨٦ ، والمجادلة ١٤ ، والقمر / ٢٤

٧- الأنبياء / ٧ - ٨ ، والطور الآية ، ٣٤ من نفس السورة

٨- نثر مثلا مختار الصحاح والمنجد والمعجم الوسيط مادة « رح ل »

٩- التكوير ٣٢ / ٢٤ - ٣٠

١٠- الرعد / ٩ / ٣١

١١- التكوير / ١٢ / ٧ ، ١٧ - ١ ، ١٨ / ١ ، ٢٦ / ٢٤

١٢- التكوير / ١٨ / ٢٠ - ٢١

١٣- التكوير / ١٢ / ١٠ - ٢٠

١٤- التكوير / ٢٠ / ١ - ٧

١٥- التكوير / ٢٦ / ١ - ٦١

١٦- التكوير / ٢٢ ٢

١٧- التكوير ١٧ ١٩ ، ٢١ ١٢

١٨- التكوير ٢١ / ٢٥ - ٣٩

١٩- تكوين / ٢٦ - ٣٢ - ٣٣

٢- تكوين / ٢٨ - ٢٠ - ٢٢

٢١- تكوين / ٣٢ / ٢٤ - ٣٠

٢٢- تكوين / ٢١ / ٩ = ١٠

٢٣- تكوين / الاصحاحان ٢٧ - ٢٨ بما تقدمها

٢٤- خروج / ١٥ / ٢٠ - ٢١

٢٥- عدد / ١٢ / ١ = ١٠

٢٦- فيما عدا هذه الاشاره إلى نبوته لموسى فانه عليه السلام لا يذكر فى العهد القديم الا بوصفه كاهنا لا غير

٢٧- نوفا / ٢ / ٣٦ - ٣٧

٢٨- عدد / ١١ ١٦ - ١٧ - ٢٤ - ٢٩

٢٩- عدد / الاصحاح ٣ كله

٣٠- لاويين / ١٢ / ١ = ٨

٣١- صموئيل الأول / ١٩ / ٢٤

٣٢- انظر مثلا صموئيل الاول / ١٠ / ٥ - ١١ ، ١٩ / ٢٠ - ٤٢

٣٣- انظر عباس محمود العقاد / مطلع النور أو عبقرية محمد » موسوعة العقاد الاسلامية » ٦ / ٨٢١ .

٣٤- انظر مثلا عدد / ١١ / ٢٤ - ٢٩ ويشبه / ١٣ / ١ - ٥ ، و ١٧ / ٢٠ - ٢٢ ، وأيضا / ٥ / ٣١ و ٦ / ١٣ ، و ١٤ / ١٤ - ١٥ و ٢٣ / ١١ - ٤ وحزقيال / ٢٣ / ٢٥ - ٢٨ وانظر كذلك روبرتسون اللاهوتى / ١٦ / ١٣ - و ٢٠ / ١

٧- كلام عيسى فى المهد

كذلك كان ما ذكره القرآن من كلام عيسى فى المهد مثارًا لاعتراض النصارى . وملخص كلامهم انهم ، رغم تمجيدهم له عليه السلام ، لا يعترفون له تلك المعجزة ، وكذلك لا يعترفها اليهود ولا المجوس ولا الصابئة ولا الهنود ولا الترك ولا الحزر ، ولم تسجل فى الإنجيل رغم أن الكلام فى المهد اعجب من كل عجب ، إذ هو امر تفرد به عيسى دون سائر الانبياء والمرسلين ، فضلا عن ان الخداع فيه غير ممكن ، فالطفل الرضيع لا يستطيع حيلة ولا تمويها (١)

وقد رد الخاطر ، رحمه الله ، بان اليهود لا يقرون لعيسى اية معجزة (٢) ، بل يرون انه كان صاحب رقى وسعوذة وحيل وانه كانت عنده معرفة بالطب والكيمياء ، وان ما يُرْوَى عن شفائه المتعددين إنما كان باتفاق سابق بينه وبين بعض من الناس تظاهروا بانهم مرضى فشفاهم . اما بالنسبة لمن قيل انه احياء بعد موته فلم يكن فى زعمهم ميتا ، بل كان الامر مجرد اغماء ، فاستهر عيسى الفرصة وأوهم الناس انه كان ميتا وبانه أعاد اليه الحياة . وبالمثل فالمجوس لا تقر لعيسى بانه معجزة . اما الهند والحزر والترك فانهم لا يعترفون لنبى بانة معجزة بل لا يرون سيرة اى نبى ، فلهاذا الاستنهاد بهم فى

مسألة كلام عيسى في المهد بالدات ؟

ويبقى النصارى ورد الحاطب هما هو أنهم انما قبلوا دينهم عن يوحنا ومتى (من الحواريين في زعمهم) ومارقس ولوقا (من التابعين) ، وهؤلاء الاربعة لا يؤمن عليهم الغلط ولا النسيان ولا تعمد الكذب ولا التواطؤ على اقتناء الرياسة . وان اختلاف اناجيلهم وتناقضها مع بعضها البعض لدليل على ذلك (٣) .

وصحيح تماما ما يقوله الحاطب عن اختلاف الاناجيل وتناقضاتها بل واخطائها ايضا . ويكفي ان نقول هذه الكتب ان عيسى هو الله او ابن الله حتى تسقط عنها الثقة ، اذ إن هذا بطبيعته ضلال بل كفر صريح . ثم انه من الغريب المضحك أن يقال مثلا ان هذا الاله (او ابن الاله) قد تعمّد على يد احد من عباده ، وهو يحيى عليه السلام (٤) ، او إن الشيطان قد قاده الى جناح الهيكل في القدس ثم الى احدى قمم الجبال ليجتمره وبعد ذلك أمره بالسجود له . فأي اله ذلك الذي يحتاج الى التعمد اصلا . فضلا عن أن يتم التعمد على يد أحد من مخلوقاته ؟ وأي اله ذلك الذي يقوده ابليس فيقاد له ؟ وكيف يطمع ابليس في ربه إلى هذا الحد المخزي ؟ والطريف ان عيسى (وهو اله في زعمهم) يرد على الشيطان حين يامره بالسجود له

قائلا « مكتوب : للرب الهك تسجد وإياه وحده تعبد » (٥) . أى ان عيسى يعترف بانه مجرد عبد وان عليه أن يسجد لربه . فكيف يكون إلهًا ويكون له فى نفس الوقت اله ؟ وبالمناسبة فتعميد يحيى لعيسى واختيار إيليس له ليسا مذكورين فى انجيل يوحنا ، على عكس الأناجيل الثلاثة الأخرى .

كذلك فبين سلسلتى النسب اللتين أوردهما متى ولوقا للمسيح ابن مريم عليه السلام اختلاف شديد حسبما اشرنا من قبل . ويمكن للقارئ الرجوع إليهما بنفسه ليرى كثرة الاختلافات والتناقضات التى بينهما . وحسبنا ان نقول هنا مرة اخرى ان كلتا السلسلتين تنتسب إلى يوسف النجار . بل ان أمه هى ايضا تقول له إن يوسف أبوه . وقد مر هذا آنفا .

وعيسى عليه السلام ، حسبما جاء فى الاناجيل ، يقول موكدا « لا تظنوا أنى جئت لانقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لانقض بل لاكمل . فانى الحق اقول لكم الى ان تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل . فمن نقض احدى الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يُدعى اصغر فى ملكوت السماوات . واما من عمل وعلم فهذا يُدعى عظيما فى ملكوت

السماوات » (٦) وعجيب ذلك يطلق هو نفسه حاذفا ما جاء في الناموس . مثل ذلك ان الطلاق كان مشروعا قبله عدة السلام فجاء هو وحرمه الا لعلة الزنى ، بل جعل الرواح من المرأة المطلقة زنيا من آلوان الزنى كما ان الحلف بالله كان جائزا قبلا ، ثم أتى هو فحرمه كذلك حرم القصاص ، بل نهى عن مقاومة الشر البتة (٧) ولم يكتف بذلك بل جعل ما يأمر به بلاسفه او ينهون عنه شرعا الهيا وأحما (٨) ومعروف ما فعله بولس بعد ذلك من تحليل الميتة والخنزير والدم ، الخ . وهذا كله نقض للناموس

وهو ، حسبما جاء في الاناجيل الحالية ، يقول لبطرس : « أنت بطرس وعلى هذه الصخرة (يقصد بالصخرة هنا بطرس) ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ، فكل ما تربطه في الارض يكون مربوطا في السماوات وكل ما تحله على الارض يكون محلولا في السماوات » (٩) ، ثم يستدير ٣٦٠ درجة قائلاً لبطرس هذا نفسه بعد ثلاثة اسطر : « اذهب عني يا شيطان ، انت معثرة لي لانك لا تهتم بما لله لكن بما للناس » (١٠) ، وذلك حين انتهره هذا التلميذ فاي اله ذلك الذي يغير رأيه هكذا وشكا ؟ واعجب من ذلك ان بطرس عندما انتهره كان

ينادیه : « یا رب » فکیف یتنکر انسان ربه ؟

وحر علیه السلام یقول فی موضع من الاناجیل : « لا تقاوموا الشر بل من لطمك علی خدك الایمن فحول له الآخر أیضا ومن اراد ان یخاصمك ویاخذ ثوبك فاترك له الرداء أیضا . ومن سخرك میلا فاذهب معه اثنین احسنوا اعداءكم باركوا لاعنیكم أحسنوا الی مبغضیكم » (١١) . ثم نسمعه فی موضع آخر یقول « جئت لالقی نارا علی الارض فماذا اریذ لو اضطرمت .. اتظنون أنی جئت لاعطی سلاما علی الارض كلا أقول لكم بل انقساما » (١٢)

كمال قال عن نفسه انه لم یات الی العالم لیدین الناس : « لم یرسل الله ابنه الی العالم لیدین العالم بل لیخلص به العالم » (١٣) وبعد قلیل نجد عكس ذلك اذ یعود فیقول ان « الاب لا یدین احدا بل اعطی كل الدینونة للابن . واعطاه سلطانا ان یدین ایضا لانه ابن الانسان كما اسمع ادین ودینونتی عادلة » (١٤)

وهو یؤكد ان شهادته لنفسه لیست حقا (١٥) . لكنه لما حاكمه الفریسیون الی كلامه هذا عن نفسه قائلین له « انت تشهد لنفسك شهادتك لیست حقا » نقض ما كان قد قاله واكد لهم ان شهادته لنفسه حق (١٦)

وحتى في قصة الصلب ، «الصلب اساس المسيحية» يعد عجبا فالاناجيل الثلاثة الاولى تقول ان رجلاً قيروانيا اسمه سمعان هو الذي حمل الصليب الذي قتل عليه المسيح (١٧) . على حين يذكر انجيل يوحنا انه هو الذي حمل صليبه بنفسه (١٨) .

ومرة يقال لنا ان اللصين اللذين صلبا معه كانا يسخران ويستهزئان به كلاهما لانه زعم ادعائه انه ابن الله قد عجز عن تخليص نفسه من الصلب (١٩) ، ومرة اخرى يقال ان احد اللصين فقط هو الذي عيره ، اما الآخر فكان متعاطفا معه وانتهر زميله بشدة ثم انتهل الى عيسى قائلا : « اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك » . فيعده عيسى بانه سيكون معه في الفردوس في نفس ذلك اليوم الذي وقع فيه الصلب على زعمهم (٢٠) اما يوحنا فلم يقل في هذا الامر شيئا فاراح واستراح .

وحتى الكلمات التي يدعى انه قد نطق بها وهو يسلم الروح نجد الاناجيل مختلفة فيها اختلافا عنيفا فبين عند متى ومرقس « الهي الهي لماذا تركتني » (٢١) ، وفي انجيل لوقا « يا ابتاه في يديك استودع روحي » (٢٢) ، وفي يوحنا « قد أكمل » (٢٣) ثم ليس عجيبا ان هذا الاله الذي نزل من عليائه

ليُصلب تكفيرا عن ذنوب البشرية التى ورثتها عن ابيها آدم ، كما يقولون ، يأتى فى آخر لحظة فيضعف كل هذا الضعف ويدعو (يدعو من ؟ يدعو الهه !) ان يهب له لحدته ، ويستغرب فى الم لابه تركه ولم يبادر الى انقاذه ؟

اما الضابط الذى كان يشرف على عملية الصلب ففى بعض الاناجيل انه قال بعد ان شاهد بعض المعجزات التى وقعت آنذاك « حقا كان هذا (الإنسان) ابن الله » (٢٤) ، وفى بعضها الآخر « فى الحقيقة كان هذا الانسان بارا » (٢٥) وفى انجيل يوحنا لا يوجد شىء من ذلك البتة

وبينما يذكر الانجيليان الأولان أن بيلاطس قبل ان يسلم عيسى للصلب قد قام بجلده (٢٦) نجد الانجيليين الاخيرين لا يقولان شيئا عن عملية الجلد تلك

فهذه هى الأناجيل التى يجعلونها مقياسا للقرآن ومخطوءة لانه ذكر شيئا لم يرد فيها واحب ان اسه القارىء إلى أن ما ذكرته من الاختلافات والتناقضات بين الأناجيل انما هو بعض من قصر وقد افاض المعنيون بدراسة الكتاب المقدس من غربيين وشرقيين ومحدثين ومسلمين فى رصد هذه الاخطاء وذكرها ، فليرجع القارىء

إليهم إذا أراد .

وعليا الا ننسى أن الأناجيل الأربعة الموثوق بها عندهم قد كُتبت بعد رفع عيسى عليه السلام بعشرات السنين ومن الذاكرة ، أي بعد ان كانت قد سُبيت اشياء وزيدت اشياء واقتحمت الوثنيةُ العقائد والتشريعات النصرانية . وكلامه في المهد معجزة قد وقعت قبل أن يصير سيّا ويصبح مهما في نظر الناس برهن طويل بحيث يهتمون بما يقول او يفعل ويحفظونه ، وكان ذلك امام قوم امه ولم يكن امام الناس جميعًا فاغلب الظن ان ذلك هو السبب في أن هذه المعجزة لم تتبع شيوع معجزاته الاخرى بل انه كانت في بعض الأناجيل التي تعتمدها الكنسية اشياء حذفت منها ، فضلا عن ضياع معظم رسائل بولس (٢٧) .

ثم ان الاناجيل التي كُتبت عن سيرة المسيح كانت بالعشرات ، وعدم ذكر الاناجيل الاربعة لكلامه في المهد لا يدل بالضرورة على أنه لم يقع ويقول جماعة من اللاهوتيين النصارى إن الأناجيل الاربعة « لا تتضمن تاريخا كاملا عن اعمال ربنا المجيد وتعاليمه بل ذكر تجسده ووظيفته وتاسيس النظام المسيحي الذي هو موضوعه الاعظم ، على اسلوب مختصر » (٢٨) وفي انجيل الصبا (او الطفولة) ، الذي

كتب في عصر المسيح عليه السلام ، انه كان يخلق من الطين كهيئة الطير (٢٩) ـ مع ان ذلك ليس في الاناجيل الاربعة المعتمدة عند الكنيسة ، كما ذكر له انجيل برنابا معجزات اخرى لم ترد في الاناجيل الاربعة ـ مثل صراخ حجرة اورشليم تباركه ومعجزة المرآة (٣٠)

وفي هذا الانجيل ايضا انه تكلم في المهد ، اذ جاء فيه أن الطفل الرضيع قد حدث المحوس الذين اتوا من بلادهم الى المنزل الذي ولد فيه ، مخبرا اياهم ان يعودوا في طريق عودتهم بهيرودس ، حتى لا يعرف مسقط مكان وجوده فيقتله (٣١) ومن الصعب الادعاء بان احد من يريدون الدعاية للاسلام هو الذي كتب هذا في الانجيل المذكور ، اذ ان الكلام الذي ورد في القرآن على لسانه عليه السلام وهو لا يزال رضيعا يختلف عن هذا ، كما ان الموقف غير الموقف ـ فقد وقع كلامه في القرآن عندما اشار امه اليه ردا على اتهامهم اياها بالزنى ، وكان على النحو التالي « اني عبد الله ، اتاني الكتاب وجعلني نبيا * وجعلني مباركا اينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حيا » (٣٢) فهذه التفصيلات مختلفة عما ورد في برنابا وعدم اتفاق الكتابين حتى كلامه في المهد ومثل ذلك

يقال فيما رواه انجيل الطفولة عن كلامه وهو طفل رضيع ، اذ إن ما قاله آنذاك حسب ذلك الانجيل هو انه أنا عبد الله (٣٣)

وقد سمع النجاشي ومطارقته صدر سورة « مريم » وفيه كلامه عليه السلام في المهد جوابا على اشارة أمه اليه عندما اتهمت بأنها ولدته من سفاح ، ولم ينكر احد منهم ذلك ، بل اقر النجاشي بأن ما يقوله القرآن عن عيسى عليه السلام هو نفس ما يؤمنون به (٣٤)

وقد كان كبار رجال الدين النصارى النجرانيين الذين وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة يؤمنون بمعجزة كلام عيسى عليه السلام في المهد ، بل انهم اتخذوها حجة على انه ابن الله (٣٥)

وكذلك اقر الانبا شنودة (البابا شنودة حاليا) بما جاء في القرآن عن كلامه عليه السلام في المهد ، موكدا أنه معجزة لم تحدث لأحد من قبله ولا من بعده (٣٦)

ويستنكر القرافي ، رحمه الله ، اعتراض المعترضين من النصارى على ما ذكر القرآن من كلام عيسى في المهد موكدا أن من الغريب أن يكون الها (في زعمهم) قادرا على كل شيء ، ومع هذا يترك أمه تهان لتهمة الزنى دون أن يبادر إلى تبرئتها ، أن هذا منتهى العقوق (٣٧) ويسعى أن نضيف هنا انه لو لم تحدث مثل هذه

المحدثون الرحمة مرتبة على شريعة موسى ـ أ. ما هي الدليل على أن أوضح من الجمل ، فقد الأجمل أنهم أتوا إلى عيسى بامرأة زانية ليعلم فيها حكم الرجم على ما تقضي به شريعة التوراة (٣٨)

الهوامش

١- انظر « رسائل الحاطط » ٣ / ٦-٣ - ٣٠٨

٢- ونضيف انهم لم يكونوا يرون انه سي ، فضلا عن أن يكون الها أو ابن إله

٣ رسائل الحاطط / ٣ / ٣٢٤ - ٣٢٩

٤- متى / ٣ / ١٣ - ١٦ ، ومرقس / ١ / ٩ ، ولوقا / ٣ / ٢١

٥- متى / ٤ / ٩ - ١٠ ، ومرقس / ١ / ١٢ - ١٣ ، ولوقا / ٤ / ٩ -

٩٣

٦- متى / ٥ / ١٧ - ٢٠

٧- متى / ٥ / ٣١ - ٤٢ ، ومرقس / ١٠ / ٢ - ١٢

٨- متى / ١٦ / ١٩ و ٩٨ / ١٨ / ١٩

٩- متى / ١٦ / ١٨ - ١٩

١٠- متى / ١٦ / ٢٣

١١- متى / ٥ / ٣٩ - ٤٤ ، متى / ٦ / ٢٧ - ٣١

١٢ لوقا / ١٢ / ٤٩ - ٥١

١٣ يوحنا / ٣ / ١٧

١٤- يوحنا / ٥ / ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٠

١٥- يوحنا / ٥ / ٣٦

١٦- يوحنا / ٨ / ١٣ - ١٤ ، ١٨

١٧- متى / ٢٧ / ٣٢ ومرقس ١٥ / ٢١ ولوقا / ٢٣ / ٢٦

١٨- يوحنا ١٩ / ١٧

١٩- متى / ٢٧ / ٤٢ ، ومرقس ١٥ / ٣٢

٢٠- لوقا ٥٥ / ١٥ / ١

٢١- متى ٢٠ / ٦ ومرقس ٥ / ١٥

٢٢- لوقا ٢٣ / ٤٦

٢٣- يوحنا ١٩ / ٣٠

٢٤- متى ٢٧ / ٥٤ ومرقس ١٥ / ٣٩

٢٥- لوقا ٢٣ / ٤٧

٢٦- متى ٢٧ / ٥٤ ومرقس ١٥ / ١٥

٢٧- انظر مثلا من دون ذكر قصة الخضر : محمد محمد بدران ١١ ١٦٢ و ١٤ / ٤٢ ، ومحمد خلاف الله : خواطر مسلم عن الجهاد والحرب ، الاسكندرية ١٥ - ١٥٤

٢٨- كتاب « رب اجعلني » لمجموعة من الاشخاص مستخلص / ٢٢٦ - ٢٢٧

٢٩- نظر تفسير المنار ٣ / ٣١٦

٣٠- انجيل متى / ترجمة د. خليل سعاده / ٢٩٢ - ٢٩٣

٣١- انجيل مرقس / ٩

٣٢- مرقس ٢٧ - ٣٣

٣٣- انجيل الطفولة / الاصحاح ١ / ٢ - ٣ ، محمد عزت الطهطاوي / محمد صلى الله عليه وسلم في الاسفار في التوراة والانجيل والقرآن / ٩٩ - ١١١ ،

٣٤- انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢٣٥ - ٢٣٧

٣٥- المرجع السابق ١ / ٥٧٥

٣٦- انظر مقال « القرآن والمسيحية » للاستاذ شلتوت / مجلة « الهلال » المصرية ديسمبر ١٩٦٧م / ٢٥

٣٧- انظر القرافى / الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاخرة / تحقيق د. بكر وكى عوض / ٣٤٧ - ٣٤٨

٣٨- يوحنا / ٨ / ١ وما بعدها

٨- هل النصارى أقرب مودة من غيرهم للمسلمين ؟

وقد نظر الحاطب ، في اثناء مناقشة شبهات النصارى التي عرض لها ورد عليها في رسالته ، إلى موقف عوام المسلمين منهم ، والسبب الذي صاروا به احب إليهم من المجوس ، واسلم صدورا عندهم من اليهود واقرب مودة واقل عائلة واصغر كفرا واهون عذابا . «كيف يغلط كثير من المسلمين في تاويل قوله تعالى : « لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ، ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون * واذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا امنا ، فاكتبنا مع الشاهدين * ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ؟ » فاثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ، وذلك جزاء المحسنين » (١)

وقد علق الحاطب على ذلك بقوله : « وفي نفس الآية الحظ دليل على ان الله تعالى لم يعن هؤلاء النصارى ولا أساقفتهم الملكانية واليعقوبية ، وانما عنى صنفا (اى مثل) نجبرا وصنف الرهبان الذين كانوا يخدمهم سلمان (٢) وبين حتمل قوله : « الذين قالوا انا نصارى »

على الغلط منهم (أى على الغلط من عوام المسلمين) فى الأسماء ويبن أن نحوم عليهم لأنهم نصارى فرق » (٣) .

وهذه من المسائل التى تحتاج الى توضيح وتفصيل أكثر من ذلك . ولابد فيها من الرجوع الى ما قاله القرآن فى المواضع المختلفة منه فى النصارى وعقائدهم ، وعدم الاقتصار على هذه الآية التى اثارت عند عوام المسلمين هذا الاشكال ، وبخاصة أن كثيرا من النصارى من مستشرقين وغيرهم حينما يكتبون عن رأى القرآن فيهم وفى دينهم يستشهدون بهذه الآية الكريمة دليلا على رضا الاسلام عنهم ورأيه الطيب فيهم والمصير السعيد الذى ينتظرهم هم وقساوستهم ورهبانهم . وإلى القارئ خلاصة ما يخرج به الباحث فى القرآن عن وجه الحق فى هذه القضية .

لقد وصف القرآن الكريم فى عدد من المواضع انحرافات النصارى ، ومنها عقيدتهم فى « التثليث » ، وجعلها كُفْرًا من الكُفْر ، وحكم على الذين يقولون بها بأنهم كُفّار مشركون . قال تعالى « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم . وقال المسيح : يا بنى إسرائيل ، اعبدوا الله ربى وربكم . انه من يُشْرِكْ بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار . وما للظالمين من أنصار * لقد كفر

الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة . وما من اله الا اله واحد . وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب اليم » (٤) وهو يؤكد أن عيسى لم يكن الا عبدا لله ورسولا اختاره ليبلغ رسالته الى بني إسرائيل ، ويضم الذين يدعون خلاف ذلك بالكذب والافساد ، ويدعو الى لعنهم : « ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له : كُن ، فيكون * الحقّ من ربك فلا تكنّ من المُمْترين * فمنّ حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل : تعالوا ندْعُ ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعلّ لعنة الله على الكاذبين * إن هذا لهو القصص الحق . وما من اله الا الله . وإن الله لهو العزيز الحكيم * فان تولّوا فان الله عليم بالمفسدين » (٥)

وقد تكرر قولُهُ بينهم وبين اليهود ، مما يدل على ان هناك اوجه تشابه بين الفريقين . قال عز وجل : « وقالت اليهود : عُزير ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبلُ . قاتلهم الله ! انى يؤفكون ؟ * اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم . وما أمروا إلا ليعْبدوا إلها واحدا لا اله إلا هو . سبحانه عما يشركون *

يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يُتِمَّ نوره ولو كره الكافرون » (٦) وقال ايضا : « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هُودا او نصارى تلك اماينهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » (٧) وقال سبحانه : « وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل . فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما ، واليه المصير » (٨) وقال تعالى : « وقالوا كونوا هُودا او نصارى تهتدوا قل : بل ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين » (٩)

وهذا الاقتران بينهما فى القرآن غير مقصور على الكلام عن عقائدهم المنحرفة بل يشمل أيضا مشاعر الكراهية والحقد التى يكنونها للمسلمين ورغبتهم فى ان يحتلوهم عن دينهم الحق ويجروهم معهم فيما هم فيه من كفر وضلال : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل : إن هُدى الله هو الهُدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولىّ ولا نصير » (١٠) « ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا ، حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم

الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ان الله على كل شيء قدير » (١١١)

كذلك فان رأى القرآن فى معظم رجال الدين من اليهود والنصارى انهم يصدون عن سبيل الله ويأكلون أموال اتباعهم بالباطل « يا أيها الذين آمنوا ، ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله . والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » (١١٢) وهو يتوعدهم بعذاب اليم فى نار جهنم يحرق أبدانهم ويكويها : « يوم يُحْمى عليها فى نار جهنم فتُكْوَى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون » (١١٣) . وقد رأينا كيف أن أتباعهم قد اتخذوهم أربابا من دون الله وبطبيعة الحال فقد باركوا هذا ودفعوا إليه واستزادوا منه ، وإلاّ لكف أتباعهم عنه ولكان القرآن حينئذ قد براهم من جريمة هؤلاء الأتباع وكفرهم .

مما تقدم يتبين لنا رأى القرآن الشيء فى النصارى وعقائدهم وبعضهم للإسلام والمسلمين وكذلك فى رجال دينهم وهم فى ذلك مثل اليهود وأحبارهم ، فلماذا قال القرآن فيهم إذن ، « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . ولتجدن أقربهم مودة للذين

آمنوا الذين قالوا : انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون : ربنا ، امنا ، فاكتبنا مع الشاهدين * ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ؟ * فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ، وذلك جزاء المحسنين » ، مما قد يُفهم منه انه يفرق بينهم وبين اليهود فى مسألة المشاعر تجاه المؤمنين وفى مسألة المصير الذى ينتظرهم ؟ هل يعقل أن يكون للقرآن رأيان فى النصارى متناقضان هذا التناقض ، إذ يصمهم بالكفر والشرك والكذب والافساد والفسوق فى مواضع منه ويتوعدهم بما يتوعد به كل كافر كذاب ، ثم يأتى فى هذه الآيات الأخيرة فيُذكّرهم بانهم اقرب الناس مودة للذين آمنوا ويتحدث عن رقة قلوبهم ومسارعتهم إلى الايمان برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ويبشرهم بما اثابهم الله به من الجنات التى تجرى من تحتها الانهار والخلود فيها جزاء لهم على ايمانهم وإحسانهم ؟

لقد وجدت عددا من الكتاب فى بعض البلاد العربية يذكر النصارى بخير ويثنى عليهم ويمدحهم مستشهدا بهذه الآيات ، فكنتُ

أتعجب من ذلك واستغربه اشد الاستغراب ، وأحاول أن أبين أن الأمر ليس كما يظنون ولكن فريقا من الذين كنتُ أحاورهم كانوا لا يقتنعون تماما بما اقول

وقد كان منطلقي هو ان القرآن لا يمكن ان يتناقض بعضه مع بعض فاذا كان يكفر النصارى ويتوعدهم بالعذاب الأليم ويدعوهم الى التوبة مما هم عليه فلا يُعقل أن يرجع فيقول فيهم عكس ذلك مع بقائهم على ما هم عليه وعدم توبتهم منه وتوبتهم لن تكون طبيعة الحال الا بالتصديق برسالة محمد عليه الصلاة والسلام والتحول الى الإسلام

وكنتُ أضيف أن عداوة النصارى للإسلام طوال هذه القرون الأربعة عشر هي عداوة لدود ، وان المسلمين لم يروا منهم رحمةً ولا عدلا او انصافا ، وان مؤامراتهم عليها لم تنته ، وانه قد اتضح لكل إنسان الآن ما يخططون له لفتنتنا عن ديننا وإدخالنا في دينهم ، وكانه لم يكفهم ما أنزلوه بنا من ويلات وتقتيل وتنكيل واستنزاف ثرواتِ ايام ان كان استعمارهم لبلادنا استعمارًا ظاهرًا ، ولا ساروا يُنزلونه بنا من هذا كله وغيره في هذه الأيام السّود التي اتخذت سيطرتهم علينا اساليب أخفى وأدهى ، وان رجال دينهم من قساوسة ورهبان كانوا وماروا هم

الذين يحرضونهم ويقودونهم ويمدونهم أثناء هذا العدوان الشرس الذى نصطلى ناره منذ قرون . وكنتُ أذكّر بالحروب الصليبية التى سعر نارها هؤلاء القساوسة والرهبان ، والقطاعة الشعة التى عامل النصارى بها احدادنا فى الاندلس ، والغدر والخيانة اللذين توسلوا بهما الى حتق الانفاس الاخيرة للمسلمين هناك حتى أصبحت البلاد كاثوليكية مثلثة بعد ان كانت توحد الله وتؤمن بمحمد عليه السلام وبالقرآن الذى جاء به من عند ربه ، وانتزاع فلسطين من ايدينا وإعطائها غنيمة باردة لليهود ، والقسوة المتوحشة التى تُمعِنُ على الأقليات (واحيانا الأكثريات) المسلمة فى البلاد التى يحكمها النصارى ، والمجازر السوداء التى تطلع ما يكتبه معظم المستشرقين وكل المبشرين عن محمد عليه الصلاة والسلام ودينه الحق . ثم ما بحن اولاء قد رأينا بام أعيننا ما تفعله العرب (العرب كله ، لا الصرب وحدهم كما تحاول وسائل الاعلام ان تقنعنا) باخواننا المسلمين فى يوغسلافيا السابقة ، كراهية منهم ان يسمعوا فى اوربا كلمة التوحيد .

ثم كنت اقول انه لا شىء فى هذه الآيات الكريمة يمكن أن يصدّق على النصارى : فلا هم يبطنون لنا على اية مودة ، ولا هم يظهرون بحوبا تواصعًا إذا كان فى يدهم القوة والسلطان ، ولا أعينهم

تفيض من الدمع عند سماعهم القرآن الكريم ، ولأنهم يعترفون بالحق ويعلنون الايمان بمحمد ودينه كذلك فان الآيات تعلل ما ذكرته من مودتهم للمسلمين بأن منهم قسيسين ورهبانا ، فمتى كان القسيسون والرهبان يبشرون لأتباعهم ان رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هى رسالة الحق وأنهم يسعى أن يؤمنوا بها ، ثم لا يكتفون بهذا بل يسارعون إلى أن يكونوا هم اول المؤمنين ؟

وأخيرا كيف يمكن ان يقول القرآن عن النصارى انهم أقرب لنا مودة وهو ينهانا نهيًا حاسمًا فى نفس السورة (الآية ٥١) عن موالاتهم بأية حال ؟ اذن ما وجه الحق فى هذه الآيات ؟ الحقيقة انها قد نزلت فى فريق مخصوص من النصارى وفدوا على المدينة وقرأ عليهم النبى صلى الله عليه وسلم بعض آيات القرآن فلمست قلوبهم وتفتحت لها عقولهم وهزتهم من أعماقهم نفاض من عيونهم الدمع رقة وخشوعًا وتواضعًا وإخباتًا ، وسرعان ما اعلنوا إسلامهم (١٤) . إذن فالكلام فى الآيات هو عن نصارى باعيانهم وليس عن كل النصارى . وقوله سبحانه - « الذين قالوا : انا نصارى » ليس على إطلاقه فيشمل جنس النصارى كله ، ولكنه للعهد ، اى أن المقصود به طائفة معينة يعرفها المخاطب بالكلام

وقد كان في هذا الوفد عدد من القساوسة والرهبان فأشار القرآن الكريم اليهم بقوله « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا » على أن اشارة القرآن في نظري ليست لمجرد الاخبار ، وإلا لما كان ثمة داع اليها ، إذ ماذا يفيد أن نقول إنه كان في هذا الوفد قسيسون ورهبان ، إذا كان وجودهم فيه لا يقدم ولا يؤخر ؟ ان معنى « القسيس » هو العالم عندهم ، أما « الراهب » فهو العابد الذي يخاف ربه ويرهب مقامه سبحانه ويحتمي عذابه ويبدو أن المقصود بقوله عز وجل « ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا » انه كان فيهم قساوسة ورهبان حقيقيون وذلك مثلما يقول الواحد منا : « ان فلانا رجل » ، وهو لا يريد ان يشير الى جنسه وأنه رجل لا امرأة ، وانما قصد انه رجل بكل معاني الكلمة من المروءة والوفاء وإمكان الاعتماد عليه في وقت الشدة والجهر بكلمة الحق . إلخ فكونهم قسيسين ورهبانا بحق ، اى عالمين مخلصين للحقيقة يجهرون بها دونما مواربة او خوف او مراعاة للمصالح والأطماع الذاتية ، وخائفين متقين لربهم يرجون رحمته ويخشون عذابه ، هو الذي جعلهم يخشعون لما سمعوه من القرآن ولا يتأنون على ما فيه من دعوة الحق بل يسارعون إلى التصديق به وإعلان إيمانهم امام الملإ ، مما كان له تأثير على سائر أعضاء

الوعد فاعطوا ايمانهم معه .

يقول سيد قطب ، رحمه الله ، في هذا الصدد : « اذا كان الواقع التاريخي قد حفظ لليهود وقفتهم الكذبة للاسلام عند اليوم الاول الذي دخل فيه المسلمون عليهم المدينة في صورة كيد لم يتته ولم يكف حتى اللحظة الحاضرة . فان هذا الواقع قد حفظ كذلك للنصارى الصليبيين أنهم اتخذوا من الاسلام موقف العداء منذ وقعة اليرموك بين جيش المسلمين وجيوش الروم ، فيما عدا الحالات التي وقع فيها ما تصفه الآيات التي نحن بصددها فاستجابت قلوب للاسلام ودخلت فيه ، وفيما عدا حالات أخرى أثرت فيها طوائف من النصارى ان تحتمي بعدل الاسلام من ظلم طوائف اخرى من النصارى كانوا يلاقون من ظلمها الويل . اما التيار العام الذي يمثل موقف النصارى جملة وهو تلك الحروب الصليبية التي لم يخفّ أوراها الا في الظاهر منذ التقى الاسلام والرومان على ضفاف اليرموك . ولقد ظلت الصهيونية العالمية والصليبية العالمية حليفتين في حرب الاسلام على كل ما بينهما من أحقاد ، ولكنهم كانوا في حربهم للإسلام كما قال عنهم العليم الخبير : « بعضهم أولياء بعض » حتى مزّقوا دولة الخلافة ، ثم مضوا يمضغون هذا الدين عروة عروة .

وهذا ما ينبغي أن يعيه الواعون اليوم وغدا فلا ينساقوا وراء حركات التمييع الخادعة أو المخدوعة ، التي تنظر إلى أوائل مثل هذا النص القرآني دون متابعة لبقيته ، ودون متابعة لسياق السورة كله ، ودون متابعة لتقريرات القرآن عامة ، ودون متابعة للواقع التاريخي الذي يصدق هذا كله ، ثم تتخذ من ذلك وسيلة لتخدير مشاعر المسلمين تجاه المعسكرات التي تصمم لهم الحقد وتبيّت لهم الكيد ، الأمر الذي تبذل فيه هذه المعسكرات جهدها وهي تصدد الضربة الأخيرة الموجهة إلى جذور العقيدة » (١٥) .

الهوامش

١- المائدة / ٨٢ - ٨٥

٢- مقصد الرهبان الذين اصل بهم سلمان الفارسي في رحلة بحثه عن الحق والذين كانوا يحسبونه مقرب منهم حتى من جهة بلاد العرب

٣- رسائل الجاحظ / ٣ / ٨ - ٣١١

٤- المائدة / ٧٢ - ٧٣

٥- آل عمران / ٥٩ - ٦٣

٦- التوبة / ٣٠ - ٣٢

٧- البقرة / ١١١

٨- المائدة / ١٨

٩- السجدة / ١٣٤

١٠- البقرة / ١٢٠

١١- البقرة / ١٩

١٢- المائدة / ٣٤

١٣- المائدة / ٣٥

١٤- انظر في ذلك مثلا ابن جرير الطبري / جامع البيان / ٥ / ٣ وابن كثير / تفسير ابن كثير / ٢ / ٨٦ والسيوطي / الدر المنثور / ٣ / ١٢٩ - ١٣٨

١٥- سيد قطب / في ظلال القرآن / ٢ / ٩٦٦ - ٩٦٧

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابرهيم خليل احمد / اسرائيل والبلمود / مكتبه الوعي العربي / القاهره ١٩٨٣م.

برهمه سلمان الخيون / معاول الهدم والتدمير في التوراة وفي التلمود / ط ٥ / عالم بكتب / الرياض / ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م.

بن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / مطابع المجد التجاريه

ابن حزم / رسائل ابن حزم الاندلسي / تحقيق د إحسان عباس / ط ١ / المؤسسه العربيه للدراسات والنشر / بيروت / ١٩٨١م

ابن حزم / الفصل في الملل والأهواء والنحل / تحقيق د محمد ابراهيم نصر ود عبد الرحمن عميره / ط ١ / مكتبات عكاظ / ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

ابن قتيبه / تاويل مختلف الحديث / تصحيح وضبط محمد زهري النجار / دار الجيل / بيروت / ١٣٩٣هـ - ١٩٧٠م

ابن قيم الجوزيه / هداية الحيارى في اجوبه اليهود والنصارى / تعليق مصطفى ابو العنين الشلبي / ط ١ / مكتبة السوادي / جدة / ٨ ١٤هـ - ١٩٨٨م

ابن كثير / البدايه والنهايه / ط ٩ / مطبعة السعادة / ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م

ابن كثير / تفسير ابن كثير / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٠هـ

ابن هشام / سيرة ابن هشام / تحقيق السقا والابياري وشلبي / ط ٢ / مصطفى البابي الحلبي / ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م

د احمد سوسة / مصادر العرب واليهود في التاريخ / ط ٥ / دار الرشيد / بغداد / ١٩٨١م.

د. احمد شلبي / اليهودية / ط ٤ / مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٤م.

بربر / تحليل برباما / ترجمة د. جليل سعاده / مكتبة محمد علي صبيح / القاهرة / ١٩٥٨م.

لحديث رسائل الجاحظ / تحقيق عبد السلام هارون / ط ١ / مكتبة الخانجي / ١٣٩٩هـ - ١٩٨٩م. ٣ / ١٣

حمد الله من الوجوه المحسن / رب المجد / مركز مطبوعات المسيحية / بيروت.

رمزية سعدة / من إعجاز القرآن العلم الاعجمي في القرآن مفسرا بالقرآن / دار هلال / القاهرة / ١٩٩٤م

د. رمزي شلبي / يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء / ط ٢ / دار الاعتصام / القاهرة / ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

القمص زكريا ابراهيم / الله واحد في الثالوث المقدس / ط - مرشد العبة / السويس

السمؤال من يحيى المغربي / اعجام اليهود / تحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوي / الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد الرياض ١٤٠٧هـ

سعد قطب / في ظلال القرآن / ط ١٠ / دار الشروق ٢ - ١٠ - ١٩٨٢م

السيوطي / الدر المنثور / ط ١ / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

العلامة سيد احمد عثماني / تفسير عثماني / بالاوردية / مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة

الأستاذ شوده / مقال « القرآن والمسيحية » / مجلة « الهلال » المصرية /

نيسبس ١٩٧٠م

د صابر طعيمة / الأسفار المقدسة قبل الإسلام / ط ١ / عالم الكتب
[illegible] / ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م

صابر طعيمه / اليهود بين القدس والتاريخ / ط ١ / مكتبة النهضة المصرية /
١٩٧٢م

صلاح العجماوي / جوهر الايمان في صحيح الاديان - أهل الكتاب / ط ١ /
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

الطبري / جامع البيان / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م

عباس محمود العقاد / موسوعة العقاد الإسلامية / ط ١ / دار الكتاب
العربي / بيروت / ١٩٧١م

القاضي عبد الجبار / تثبيت دلائل النبوة / تحقيق د عبد الكريم عثمان /
دار العروبة / بيروت

عبد الجليل شلبي / رد معتريات على الإسلام / ط ٢ / دار العلم / الكويت /
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

د عبد الحليم محمود / المنقذ من الضلال لحجة الإسلام الغزالي مع ابحاث في
التصوف ودراسات عن الامام الغزالي / ط ٨ / دار الكتب الحديثة / ١٣٩٤هـ -
١٩٧٤م

عبد الرزاق بن همام الصنعاني / تفسير القرآن / تحقيق د مصطفى مسلم / ط
٢ / مكتبة الرشد / الرياض / ١٤١٠هـ

أبو محمد عبد الله الترجمان الموزعي / جمهرة الاريب في الرد على أهل
الصليب / دراسة وتحقيق وتعليق عمر وهبي الداعوق / ط ٢ / دار البشائر الاسلامية /

٨ ١٤هـ - ١٩٨٨م

د. علي عبد الرحمن واعي / الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام / دار نهضة مصر / القاهرة

فؤاد حسنين علي / البوراق / القاهرة

فخر الدين الرازي / مناظرته في الرد على النصارى تحقيق د. عبد المحسن المحيدر - العرب الاسلامي / بيروت / ١٩٨٦م

شرفي / الاحبوبة الفاجرة مع الاسئلة الفاجرة تحقيق د. بكر زكي عوض / ط ٢ مكتبة وهبة / ١٤٠٧هـ - ١٩٧٧م

مكتبات المقدس / دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط

محمد جلال كشك / خواطر مسلم عن الجهاد والاستعمار والاقليات / ط ٢ / دار ثابت / ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م

محمد رشيد رضا / تفسير المنار / مكتبة القاهرة

د. محمد زغلول سلام / الادب في العصر المملوكي دار المعارف / القاهرة ١٩٧١.

محمد عزة دروزه / مأزق بني إسرائيل في أسفارهم / المكتبة العصرية / صيدا وبيروت / ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

محمد عزت الطهطاوي / محمد صلى الله عليه وسلم في الاسلام في التوراة والانجيل والقرآن / ط ٢ / مكتبة النور / القاهرة

مناظرة الكرمي مع الشيخ رحمة الله الهندي والدكتور فندر / تحقيق د. محمد عبد القادر خليل / ط ١ / دار ابن تيمية / الرياض / ١٤٠٥هـ

الموسوعة العربية الميسرة / دار الشعب / القاهرة

تحقيق د. محمد ... يوسف القرضاوي ... الصحوة / القاهرة ... - ١٩٨٦م

ول ديورانت ... قصة الحضارة ... ترجمة محمد بدران / ط ٣ ... لجنة التأليف والترجمة والنشر ... ١٩٨٣م

يعقوب الحموق / معجم الأدباء ... ط ٣ ... دار الفكر / ... ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

Abdullah Yusuf Ali. The Holy Quran. Dar Al-Arabia, Beirut

Basil Cottle, The Penguin Dictionary of Surnames

Collier's Encyclopaedia. 1973

E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam

Encyclopaedia of Islam. New Edition

James Hastings. Encyclopaedia of Religion and Ethics. Edinburgh. 1971

Ludwig Ullman. Der Koran - Das heilige Buch des Islam. Goldmann. Munchen.

Muhammad Hamidullah. Le Saint Coran, Beyrouth. 1973

The Oxford English Dictionary

S. A. A. Maududi. The Meaning of the Quran. translated by Muhammad Akbar. 2nd edition. Islamic Publications Ltd. Lahore. 1978

Dr. Salah El dine Kechrid. Al-Quran al-Karam. 5 eme edition. Dar el-Gharb el-Islami. 1990

Thomas Patrick Hughes. Dictionary of Islam. Premier Book House. Lahore.

William Smith. Dictionary of the Bible. London. 1863

الفهرست

١- رساله الرد على النصارى
٢- عبادة مريم
٣- عزير
٤- هامان
٥- يحيى
٦- نبوة النساء
٧- كلام عيسى فى المهد
٨- هل النصارى اقرب مودة من مريم للمسلمين ؟
٩- المراجع والمصادر